صفات

يحبها الله ورسوله ﷺ

كيف يمارس كل مسلم ومسلمة

هذه الصفات الأخلاقية في حياته اليومية

تأليف

أ. د / عبد الحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

دار الصفوة

للنشر والتوزيع

حقوق الطبع والصف محفوظة

الطبعة الثانية

(١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م)

رقم الإيداع

(١٣٢٤٩/ ٢٠٠٥م)

الترقيم الدولي

(977 . 5959 . 68 . 3)

دار الصفوة
للنشر والتوزيع

٤٢ ـ جزيرة بدران أول شبرا رت وفاكس ٥٧٧٤٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

تشتمل هذه السلسلة على أكثر من مائة صفة من الصفات التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ، وينبغي أن يتصف بها المؤمنون.

وتشتمل المجموعة الأولى من هذه السلسلة على عشرين صفة من شأنها أن تزكى المسلم وتطهر قلبه ونفسه وتحلّيه بجميل الصفات والخصال التي تحصل له بها التزكية اللازمة للمسلم، بحيث تعمل على إنقاذه وانتشاله من أرجاس الجاهلية

وأوحالها، ونقله إلى رحاب الإيمان محلقة به في سماء العفة والطهر والفضيلة.

وهذه الصفات التي تشتمل عليها المجموعة الأولى من سلسلة (صفات يحبها الله ورسوله) هي:

١-تزكية النفوس.
٢-التفكر والتيقظ.
٣-البصيرة والعزيمة.
٤-محبة الله ورسوله والمؤمنين.
٥-الخشية والخوف من الله.
٦-الاستجابة لله وللرسول ﷺ.
٧-طلب العلم.
٨-الإسلام.
٩-التوحيد.
١٠- الاتباع.
١١- الإخلاص.
١٢- الإيمان.
١٣- الاستقامة.
١٤- المحاسبة.
١٥- التوبة.
١٦- الصدق.
١٧- الوفاء.
١٨- البر.
١٩- الخشوع.
٢٠- الثبات والرجولة.
٢١- علو الهمة.

ترتيب الصفات:

روعي ترتيب هذه الصفات بحيث تكون أشبه بالمنازل أو المدارج التي يتدرج فيها المسلم في حاله مع الله تعالى، مستوحية في ذلك طريقة كتاب مدارج السالكين، مع كتابة هذه المنازل بأسلوب ولغة عصرية، تتلاءم مع روح العصر، وتراعي الواقع الذي نعيشه، وتستوحي منه الأمثلة والنماذج، وتكشف ما فيه من الآفات والعيوب في محاولة لإصلاح النفس والارتقاء بها من خلال تلك المنازل أو المدارج.

وقد استوحيت ترتيبي لتلك المدارج من ترتيب صاحب مدارج السالكين، مع استلهام نصوص الكتاب والسنة وما اشتملا عليه من توجيهات واضحة في التربية الإيمانية. وقد راعيت في ترتيب تلك المنازل أن تكون كل منزلة مؤدية للتي بعدها، ومؤهلة لها، وقد يختلف ترتيب تلك المنازل من مؤلف لآخر، خاصة مع اختلاف عدد المنازل أو المدارج التي يعرض لها.

ومن ثم فإن ترتيب هذه المجموعة قد يختلف عن ذلك إذا ضمت له بقية المنازل التي ادخرتها لمجموعات مقبلة إن شاء الله.

فكرة الترتيب:

ويمكننا أن نلقي الضوء على تسلسل هذه الصفات وفكرة ترتيبها كالتالي:

رأيت أن هذه المجموعة إنما المقصد منها تزكية النفوس وتطهيرها، لذا بدأت بهذه الصفة وجعلتها أصلاً يتفرع منه سائر الصفات، ثم يبدأ المسلم في صعود درج التزكية، فيكون أول هذا الدرج هو منزلة التفكر، فيتفكر في خلق الله تعالى له وقدرته عليه وعلى بعثه وحسابه ومجازاته على عمله، والتفكر في نعمه وآلائه مع إعراض العبد وتقصيره، واستحقاقه بذلك لسخط الله تعالى وعقوبته فيكون ذلك سببًا لانزعاجه وتيقظه من غفلته فينتقل بذلك إلى منزلة التيقظ، فإذا ما تيقظ واستمع لنداءات الله تعالى الموقظة تفتح قلبه وزالت غشاوة عينيه، فتبصر بالأمر الذي خلق له، والغاية التي يعيش لأجلها، فينتقل بذلك إلى منزلة البصيرة، فإذا ما

تبصر بالأمر والغاية والسبيل واتضحت أمامه الأمور، وظهرت له الحقائق لم يبق إلا العزم على سلوك الطريق، وارتياد السبيل، فينتقل إلى منزلة العزيمة.

والعبد إذا تفكر وتبصر فإنما يعزم على طاعة الله تعالى تحدوه محبة الله تعالى ورسوله ﷺ وشرعه ومحبة إخوانه المؤمنين، فتلتبس العزيمة بالمحبة، فإذا ما أمعن التفكر في العواقب وتدبر عاقبة الإدبار والتواني أدركه الخوف، وألمت به الخشية والوجل من الله تعالى.

وبين المحبة والخشية، وبين الرجاء والخوف، يتخلق للعبد جناحين يطير بهما إلى الله تعالى فيستجيب لله تعالى وللرسول ﷺ فيحلق حينئذ إلى منزلة الاستجابة لله وللرسول ومنها تعلو همته إلى طلب العلم بهذا الدين ومعرفته فيحلق إلى طلب العلم، فيعلم ما هو الإسلام، فينتقل إلى منزلة الإسلام الحق، ويتبع ذلك بتحقيق منزلة التوحيد، ويعلم أن إسلامه لا يصح إلا بصحة الاتباع للرسول فينتقل إلى منزلة الاتباع، فيعلم أن اتباعه لا يقبل إلا بإخلاص فيرتقي إلى مدرجة الإخلاص، وحينئذ يحلق في سماء الإيمان، فتهفو نفسه إلى تحقيق تلك المنزلة، فيعلم أنها لا تتحقق له إلا باستقامة على دين الله تعالى فينتقل إلى منزلة الاستقامة، فيعلم أن استقامته لا تتم إلا بدوام محاسبة النفس ومراقبتها فينتقل إلى المحاسبة فيقف على تقصير نفسه فسرعان ما ينتقل إلى التوبة، فيعلم أن التوبة لا تصح إلا إذا صدق فيها مع الله تعالى، فينتقل إلى منزلة الصدق فإذا بلغ منزلة الصدق دعاه الصدق إلى الوفاء فيرتقي إليه، فتطمح نفسه إلى منزلة البر وهو جماع الخير كله فيرتقي ذلك المرتقى الصعب، فإذا ارتقى إليه فرحت نفسه وطربت ورأت أن لها شأنا، وأنها قد أدركت شأوا، فعلم أنه لابد أن يزجرها بالخشوع فينتقل إلى مرتقى الخشوع فتسكون نفسه وتهمد فربما وقف على سوءات نفسه، وطموحها وقلة حيائها، وركونها إلى الباطل، وعدم ثباتها على الحق، وكثرة تحولها وتلونها فيعلم أن ثبات النفس لا يكون إلا لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فينتقل إلى منزلة الثبات والرجولة فيلازم تلك المنزلة فيكون من هؤلاء الرجال، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم أن يلحقنا بخير

فعالهم وأعمالهم.

وأكرر أن ما عمدت إليه من هذا الترتيب والتدرج ليس لهوى في النفس، أو رغبة في التأليف، وإنما اقتديت في بعضه بمن سبقني من أهل العلم، واستنبطت بعضه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهاك أدلة بعض ما استنبطه من ذلك:

فمن ذلك قول الله تعالى على لسان موسى ـ عليه السلام ـ لفرعون عليه اللعنة: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:١٨-١٩].

فبدأ سبحانه بالتزكية أولا، وكذلك في استجابته لدعوة إبراهيم –عليه السلام– ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ﴾[البقرة:١٢٩] فاستجاب الله تعالى ذلك على خلاف ترتيب إبراهيم –عليه السلام– وذلك في ثلاثة آيات من كتاب الله تعالى كلها على خلاف دعوة إبراهيم –عليه السلام.

والتزكية أصل له فروع تحققه، وأول منازله التفكر، والدليل على ذلك أن الله تعالى وعظ المشركين من أهل مكة على لسان رسوله ﷺ فلم يدعهم إلى شيء قبل التفكر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ:٤٦].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[الأعراف:١٨٤].

والدليل على أن التفكر والتذكر يبعث على التيقظ والتبصر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأنفال:٢٠١].

فالتفكر والتذكر هو الذي بعث على التيقظ والتبصر كما في هذه الآية.

والدليل كذلك على البدء بالخشية وأنها أول صفة تحدث للعبد إذا زكت نفسه، قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾.

فجعل الخشية مرتبة على تزكية النفس، فلذا جعلتها بعد تزكية النفس وتيقظها وتبصرها.

والدليل على تقديم العلم على الإسلام والتوحيد أن الله تعالى بدء بالعلم قبل البدء بالتوحيد فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ﴾[محمد:١٩].

فقدم العلم على التوحيد، وعلى الإسلام، لأنه لا يصح إسلامه ولا توحيده إذا لم يعلم حقيقتها، فلابد أن يعلم ما هو الإسلام، وما هو التوحيد أولا، فالعلم قبل العمل أمر لازم لا يتخلف.

والدليل على اقتران الإخلاص والاتباع وتلازمهما قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠].

فأمر بالعمل الصالح وهو ما اتبع فيه الرسول ﷺ حسب تفسير جميع أهل العلم، وأتبعه بالإخلاص وهو عدم الإشراك في عبادة ربه، فمن ذلك بدأت بالاتباع وأتبعته بالإخلاص والدليل على إتباع الإيمان بالاستقامة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

فذكر الإيمان أولا ثم أعقبه بالاستقامة وكذلك فعلت في ترتيبهما، وهكذا في سائر الصفات نسأل الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين المتقين، ونسأله الثبات عليهما إلى الممات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات وصل اللهم وسلم وبارك على سيد السادات، وكريم الآباء والأمهات، صاحب المقام المحمود ورفيع الدرجات صلاة تنفعنا به في الحياة والممات، والحمد لله في جميع الساعات والأوقات.

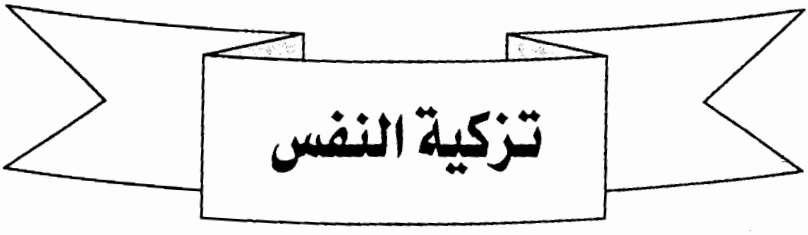

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[الشمس: ٩، ١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

زكاة النفس وصلاحها من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم والمسلمة، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1].

وتظهر أهمية الحديث عن تزكية النفس بالنظر إلى الواقع الذي نعيشه اليوم وغلبة النظرة المادية فيه على الناس، وتلوث الفطر والنفوس بكثير من الآفات والشهوات التي قد أفرزتها الحياة المعاصرة التي صبغ الناس فيها بصبغة غريبة غربية على الفطرة وعلى النفس المستقيمة النقية.

والذي ينظر نظرة سريعة إلى الواقع المعاصر يستطيع أن يتبين إلى أي حدّ فسدت فطر الناس وعقولهم وعقائده وعباداتهم

ومعاملاتهم وأخلاقهم وتردت سلوكياتهم إلى هوّة بعيدة ساحقة بينها وبين السلوك الإسلامي الصحيح بون شاسع، ومسافة بعيدة.

فعلى مستوى العقيدة نجد أن كثيرًا من الناس قد تعلقت قلوبهم بغير الله رغبة ورهبة وطمعًا وخوفًا، فاتجهت قلوبهم إلى عباد أمثالهم يعتقدون ولايتهم وصلاحهم بالحق أو الباطل فدعوهم من دون الله تعالى، وقربوا إليهم النذور

---

(١) الشمس: ٩، ١٠.

والذبائح والقرابين، واستغاثوا بهم من دون الله تعالى وتضرعوا إليهم لجلب نفع أو دفع ضر، والله تعالى يبين لهم حقيقة ضلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وطائفة أخرى قد ساءت ظنونهم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وصلاحيتها لإصلاح أمور معاشهم وتدبير أمورهم، فتعلقت قلوبهم بدونه سبحانه ممن هم أسفل الخلق وأراذلهم وأبعدهم عن الهداية إلى الصراط المستقيم.

فاتجهوا إليهم بقلوبهم وعقولهم، وتطلعت إلى باطلهم أبصارهم، وأخذتهم زخارف الباطل وبهارجه، فضلوا عن سواء السبيل.

هذا على مستوى العقيدة، أما على مستوى العبادة، فقد انصرف كثير من الناس عن أداء العبادة الأساسية المفروضة وهي الصلاة فضلاً عن انصرافهم عما دونها من العبادات.

والبقية الباقية الذي يؤدون هذه العبادة إذا نظرنا إلى حال أكثرهم وهم جمهور المصلين، فإننا نجد أن هذه العبادات قد فقدت روحها لديهم وصارت أشبه بالعبادات اليومية من الطعام والشراب ونحوها؛ وذلك لأن أغلب الناس صاروا يؤدونها بلا خشوع ولا تدبر ولا تفكر فيما يتلون أو يُتلى عليهم، هذا فضلاً عن عدم التزام أكثرهم بشروط صحة هذه العبادة وأركانها وفرائضها فضلاً عن سننها ومستحباتها.

أما على مستوى المعاملات فقد فشا بين الناس الغش والخداع والكذب والظلم وأكل حقوق الناس وأموالهم بالباطل، وأخذ الرشوة، والتعامل بالربا وما لا يحل من العقود.

وأما من ناحية الأخلاق والآداب والسلوك فحدث ولا حرج، والواقع خير

---

(١) الأعراف: ١٩٤.

شاهد على فساد الأخلاق والسلوك لما هو ظاهر مشاهد من شيوع العُري والسفور والتبرج والاختلاط المحرم بين الشباب والفتيات، فضلاً عما تطالعنا به الصحف كل يوم من حوادث الاغتصاب والقتل والسرقة والنهب وتعاطي المسكرات والمخدرات وغير ذلك.

ناهيك عن فساد الآداب والسلوك على مستوى الأسرة نفسها حيث تباح الخلوة بين الرجال والنساء الأجنبيات ويباح الاختلاط بينهم بغير تحفظ ولا تقيد بقيود شرعية، وغياب السلوك الإسلامي في جميع مظاهر الحياة الأسرية لدى أغلب الأسر في طعامهم ولباسهم وخروجهم وتنزههم وغير ذلك.

كل ذلك يدعونا إلى وقفة نحاسب فيها أنفسنا ونحاول إصلاح فسادها وتخليصها من الرذائل، والعمل على تحليتها بالفضائل، وتنمية جوانب الخير فيها.

وهذا هو مفهوم التزكية في أوضح صورها.

تعريف التزكية:

التزكية: تخلية وتحلية وتنمية.

فالتزكية: هي تخلي النفس عن الرذائل، والتحلّي بالمكارم والفضائل، وتنمية الخير بشرعيّ الوسائل.

فالتزكية تدور معانيها في اللغة حول ثلاثة معان، هي: التطهير والإصلاح والتنمية.

فتأتي التزكية بمعنى التطهير:

يقال: زكىّ ماله أي طهره، وزكىّ نفسه أي طهرها من دنسها ورجسها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]، وقال تعالى على لسان

(١) الشمس: ٩، ١٠.

موسى لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[٢].

وتأتي بمعنى الإصلاح:

يقال: زكا الرجل أي صلح، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[٣].

وتأتي أيضًا بمعنى التنمية والتكثير:

يقال: زكا الزرع إذا كثر ونما وطاب. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[٤]، فمن تزكى أي تطهر وأصلح نفسه وأقبل على الصلاة وذكر الله تعالى زاد خيره، وزكت نفسه، ونمت فضائلها وكثرت.

وبهذه المعاني الثلاثة وردت التزكية الشرعية، فهي تطهير للنفس من أرجاسها وأدناسها ورذائلها، وهي إصلاح للنفس بتعويدها الفضائل وتحليتها بالمكارم.

وهي تنمية لجوانب الخير في النفس البشرية، وتعهدها وتربيتها حتى تصل إلى درجة سامية من درجات الكمال الإنساني وذلك بالوصول إلى درجة العبودية الحقّة لله رب العالمين.

التزكية أولاً:

ينبغي البدء بالتزكية أولاً وقبل كل شيء، فهي بداية الطريق.

فها هو موسى- عليه السلام- يدعو فرعون إلى طريق الله تعالى فيبدأ الطريق معه من التزكية، وذلك بأمر من الله تعالى حيث يقول لموسى- عليه السلام-:

---

(١) النازعات: ١٨.
(٢) التوبة: ١٠٣.
(٣) النور: ٢١.
(٤) الأعلى: ١٤، ١٥.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[١]. التزكية إذًا هي البداية، وهي الخطوة الأولى في الطريق إلى الله تعالى.

وموسى -عليه السلام- نفسه يعدّه ربه سبحانه وتعالى لحمل هذه الرسالة، فيبدأ في تكليفه بما يزكي نفسه أولاً، ويهيؤها لحمل أعباء وتبعات هذا الأمر العظيم.

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[٢].

وهذه الليالي هي التي أمر الله تعالى موسى-عليه السلام- أن يجتهد فيها في عبادة الله تعالى، وأن يتقرب إليه فيها بالصوم والصلاة ففرض عليه صيامها تطهيرًا لنفسه وتزكية لها قبل لقاء ربه لتلقي ألواح التوراة حتى يكون أهلاً لحمل هذا الأمر العظيم، وحتى يأخذه بقوّة وجدّ، وذلك كما قال تعالى ليحيى -عليه السلام-: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[٣]، وذلك بعد ما أتاه رشده وزكاة نفسه حيث قال عقبها: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

ولما كان بنو إسرائيل قومًا غلاظًا جفاة قاسية قلوبهم لم يستجيبوا لموسى فيما دعاهم إليه من تزكية نفوسهم وإصلاحها، ولذا لم ينتفعوا بالتوراة ولا بالعلم الذي جاء به موسى - عليه السلام - إليهم.

بل لم يكن منهم إلا اللجاجة والعناد، والدليل على ذلك أن خيار بني إسرائيل ذهبوا مع موسى- عليه السلام- في لقائه لربه وسمعوا كلام الحق سبحانه وتعالى لموسى من وراء الجبل، ومع ذلك قالوا له كما يحكي القرآن عنهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[٤].

---

(١) النازعات: ١٧-١٩.
(٢) الأعراف: ١٤٢.
(٣) مريم: ١٢.
(٤) البقرة: ٥٥.

ثم اختلفوا بعد ذلك فيما بينهم بعد ما جاءهم العلم حسدًا وبغيًا من بعضهم على بعض، كما أخبر القرآن الكريم عنهم حيث قال: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[1].

فرغم أنهم كانوا على علم ومعرفة بالحق الذي أنزله الله تعالى فإنهم اختلفوا فيما بينهم وحاد أكثرهم عن الحق الذي يعرفونه بغيًا وعدوانًا من أجل معاداة طائفة وموالاة أخرى، أو لأجل عَرَض من الحياة الدنيا.

وأكبر دليل على ذلك أنهم عرفوا صفة محمد ﷺ في التوراة، وعرفوا أنه النبي الحق المنتظر مجيؤه في آخر الزمان؛ ومع ذلك لم يؤمنوا به ولم يتبعوه.

محمد ﷺ النموذج الأسمى في تزكية النفس:

وحينما أراد الله تعالى أن يمن على البشرية بالهداية وبإخراجهم من الظلمات إلى النور اطلع إلى أهل الأرض فاصطفى منهم أزكاهم قلبًا وعقلاً ونفسًا، وأوحى إليه ما يزكي به نفسه، فتزداد به نفسه زكاة وطهرًا وقداسة، فأوحى إليه أن يتعبد في غار حراء فكان يتعبد فيه الليالي الطويلة ذوات العدد فتقول عائشة –رضي الله عنها–: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو في غار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق في غار حراء، فقال له الملك: اقرأ! قال:" ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ! قلت: ما أنا بقارئ!

قال: فأخذني فغطني الثانية ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ۞ عَلَّمَ

(١) الجاثية: ١٧.

الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾»[1].

فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة ترجف بوادره.

فهذا يدلنا على ضرورة البدء بالتزكية حتى تتأهل النفس لحمل أمانة هذا الدين، وهذا ما بدأ به الله تعالى مع رسوله ﷺ حيث حبّب إليه الخلاء في مبدأ أمره فكان يخلو في غار حراء يتحنث، أي يتعبد، وأصل التحنث هو التخلص من الحنث وهو الذنب والإثم، فهي عملية تطهير للنفس بالتوبة والاستغفار وذكر الله تعالى والتفكر في نعمه وآلائه والتوجه إليه بالضراعة والحمد والثناء.. إلخ وما يقرب العبد إلى ربه من صور العبادة وأنواعها.

وكان هذا الأمر ضروريًّا قبل تحمل النبي ﷺ أمانة الرسالة؛ وقبل أن يوحى إليه بهذا الوحي المعجز بما يحمله من أعباء وتكاليف ثقيلة حملها النبي ﷺ وتنوء بحملها الجبال.

التزكية أولاً أم التعلم؟

قد يفاضل بعض الناس بين التزكية والتعلم ليجزم بأولوية أحدهما وأحقيته بالتقديم، فيرى البعض أن التزكية أحق بالتقديم على العلم، ويرى البعض بأن العلم أحق بالتقديم، ولكننا نحب أن نوضح أمرًا مهمًّا في هذه النقطة يزيل هذا الإشكال، وهو أن نبين أن العلم منه ما هو فرض عين يلزم كل مسلم تعلمه لحاجته إليه في عبادته اليومية أو فيما يخصه هو بعينه من الأمور.

فهذا لابد له من تعلمه بنفسه وتحصيله له، وهذا مثل تعلم أصول العقيدة الصحيحة التي تجب معرفتها على كل مكلف، ومعرفة أحكام العبادات اللازمة له كالصلاة والصيام والزكاة والحج ونحو ذلك، ومعرفة أحكام المعاملات الضرورية التي يحتاج إليها ويمارسها في حياته اليومية، ومعرفة ما ينبغي أن يكون عليه المسلم

---

(١) العلق: ١-٥.

من الأخلاق والآداب الإسلامية القويمة.

ومنه ما هو فرض كفاية يتعلق بها لا حاجة للمسلم فيه في وقته الحاضر، ولكنه قد يحتاج إليه في مستقبل حياته أو يحتاج إليه غيره من الناس فيجد جوابه عنده، وذلك كمسائل الميراث ودقائق العبادات والمعاملات ومعرفة قواعد العلوم وأصولها كمعرفة أصول الحديث وأصول الفقه ونحو ذلك كالتعمق في علوم اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها فالنوع الأول من العلوم، وهو ما يختص بها هو فرض عين على المكلف هو ما يلزم المسلم معرفته والعمل به في مرحلة تزكية نفسه وإصلاحها، ومن ثم فهذا القسم من العلوم لا ينفك عن عملية التزكية وليس هناك مفاضلة بينه وبين التزكية لأنه جزء من التزكية الشرعية الصحيحة لا تتم إلا به.

وذلك لأن التزكية المطلوبة ليست مجهولة الوسائل، وليست متروكة إلى المكلف ليحدد لنفسه الوسائل التي يقوّم بها نفسه؛ بل إن وسائل هذه التزكية لابد أن تكون هي الوسائل المشروعة التي بينها الله تعالى في كتابه وأرشدنا إليها النبي ﷺ في سنته؛ وذلك لا يكون إلى بتعلم تلك العلوم التي يمكن أن نسميها بعلوم التزكية فلا يصح للمبتدئ أن يبدأ بدراسة القواعد والأصول والمصطلحات ونحو ذلك قبل أن يلم بالعلوم الأساسية التي يستطيع من خلالها أن يمارس التزكية الشرعية الصحيحة لنفسه قبل الخوض قدمًا في طريق العلم الأكاديمي.

الدليل القرآني الواضح على ضرورة التزكية قبل المعرفة الأكاديمية:

هذا الدليل نلمح فيه تسجيل القرآن الكريم دعاء إبراهيم- عليه السلام- ببعثة الرسول محمد ﷺ وبيان مهامه التربوية المنوطة به بقول الله تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1].

إذا ما تأملنا إجابة الله تعالى لهذه الدعوة وجدنا أن الله تعالى قد أنزل إجابته

(١) البقرة: ١٢٩.

لهذه الدعوة في ثلاثة مواضع من القرآن لا رابع لها، وهذه المواضع هي:

١-قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[١].

٢-قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢].

٣-قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٣].

فهذه ثلاثة مواضع في كتاب الله تعالى لا رابع لها، وقد جاءت كلها على نسق رباني واحد، وهذا النسق هو ترتيب عمل الرسول ﷺ كالآتي:

١) تلاوة الآيات.

٢) التزكية.

٣) التعليم.

وتكرار الآيات الثلاثة بهذا النسق والترتيب المتحد يدل على أن إبراهيم الخليل -عليه السلام- قد فاته بعلمه البشري المحدود الترتيب الصحيح للمنهج الدعوي في عمل الرسول الذي دعا ببعثته.

وتأتي هذه الآية التي تشتمل على دعاء إبراهيم -عليه السلام- مخالفة في

---

(١) البقرة: ١٥١، ١٥٢.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

(٣) الجمعة: ٢.

ترتيبها النسق القرآني في الآيات الثلاثة الأخرى التي تحدثت في هذا الصدد بذاته.

فالآيات بهذا الترتيب السابق كأنها تصحح خطأ في ترتيب إبراهيم- عليه السلام- للمهام التربوية للرسول ﷺ وكأنها تقرر تقريرًا جازمًا لا شبهة فيه ضرورة الالتزام بهذا الترتيب في منهج الدعوة والتربية.

هذا الترتيب الذي يعتمد البدء بالتزكية أولاً، ويقدم ذلك على تعلم الأحكام من الكتاب والحكمة.

فعملية التعلم والدراسة لابد أن يسبقها عملية إعداد وتأهيل هي عملية التزكية التي تعتمد في الفترة الأولى بالأخص على تلاوة القرآن والقيام به، وإلزام النفس مدارج الفضيلة والرقي والكمال الإنساني في تحقيق العبودية الحقة لله رب العالمين.

شمولية التزكية:

قلنا إن التزكية الشرعية المطلوبة هي تلك التزكية التي تعتمد على العلم الشرعي الصحيح من الكتاب والسنة الصحيحة وما كان عليه السلف الصالح - رضوان الله عليهم-.

وهذه التزكية لها جانبان: نظري وعملي، وكلا الجانبين متلاحمان لا يتصور انفصالهما ولا افتراقهما بحال، فلابد من الموالاة بينهما.

والدليل على ذلك أن الصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا يتعلمون عشر آيات من القرآن، فلا يجاوزونها إلى غيرها حتى يتعلموا ما فيها من العمل، ويعملوا بما فيها، فتعلموا بذلك العلم والعمل جميعًا.

فالمفترض أن ما يتعلمه المسلم نظريًّا من خلال كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ أو كلام أهل العلم الثقات المتبعين هدي النبي ﷺ يسارع إلى تطبيقه وامتثاله أولاً بأول.

الجانب النظري:

فعلى المستوى النظري يتعلم المسلم في هذه المرحلة:

-معرفة الله تعالى بصفاته وأسمائه الحسنى.

-رؤية آثار صفات الله تعالى ودلائل قدرته ومظاهر رحمته وآلائه ونعمه في آيات الكون وصفحاته المرئية في كل شيء.

وصدق القائل:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله أو كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

-معرفة رسول الله ﷺ بصفاته وشمائله وأخلاقه ومعجزاته وزهده وصدقه وورعه وحلمه، وجهاده في سبيل نشر دعوته، وتحمل الأذى في سبيل نشر هذا الدين العظيم.

ومعرفة أزواجه أمهات المؤمنين وبناته وآل بيته ﷺ.

-معرفة ما يجب عليه من توحيد الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو ما يسمى بتوحيد الربوبية باعتقاد أنه سبحانه هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير والسيادة والملك وغير ذلك من معاني الربوبية.

-معرفة ما يجب عليه من توحيد الله تعالى في عبادته فلا يتجه بشيء من العبادة لغير الله تعالى كالدعاء والتضرع والاستغاثة والنذر والذبح والطواف والخلق وغير ذلك من العبادات فلا يصرف شيئًا منها لنبي ولا ولي ولا لأحد إلا الله تعالى. وهذا ما يعرف بتوحيد العبودية.

- معرفة حقيقة الإسلام وما يقتضيه من الانقياد والاستسلام لجميع ما أمر به الله تعالى أو أمر به رسوله ﷺ، وأداء الفرائض الظاهرة: من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك، واجتناب الكبائر والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

- معرفة حقيقة الإيمان وما يقتضيه من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- معرفة مهمات الأحكام لما يجب عليه من العبادات: كمعرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والنكاح والطلاق والبيع والشراء والربا والرشوة ونحو ذلك مما يبتلى به من الأحكام والتكاليف في حياته اليومية.

- معرفة ما يستقيم به خلقه، ويصلح به دينه، من أعمال القلوب: كالصدقة والإخلاص والإنابة والتوبة والتوكل والاستقامة والخشوع والزهد والورع وتقوى الله تعالى ونحو ذلك من الأمور التي تحيا بها القلوب وينصلح حالها مع الله تعالى.

- معرفة الأخلاق الصالحة القويمة التي تستقيم بها معاملاته مع الناس نحو: العدل والوفاء والصدق والأمانة والإحسان ونحوها من الصفات القويمة مع اجتناب أضدادها من الرذائل الذميمة: كالغدر والخيانة والكذب والغش ونحو ذلك.

- معرفة الآداب الإسلامية التي هي عنوان السلوك الإسلامي ودليل على حسن السمت في الدين والثبات فيه.

وذلك يشمل آداب الطعام والشراب واللباس والنوم والمشي والحديث والاجتماع... إلخ ذلك.

الجانب التطبيقي:

المفترض أن يسارع المسلم لامتثال أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، فكلما علم أمرًا التزمه، وكلما علم نهيًا اجتنبه، وكلما عرف قربة تقربه إلى الله أتى منها بما يستطيع، وكلما عرف شيئًا يكرهه الله ورسوله ﷺ تباعد عنه واجتنبه تمام الاجتناب.

فالمسلم عليه أن يترجم ما يتعلمه ترجمة عملية تطبيقية في كل شيء.

ففي مجال العقيدة:

إذا عرف الله تعالى بصفاته وأسمائه الحسنى، وعرف أنه الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت والمدبر لكل شيء، الخالق الرازق المالك وحده، القادر المقتدر، المعز المذل، العليم السميع البصير اللطيف الخبير؛ فإن ذلك ينبغي أن يترجم من الناحية العملية إلى تعلق القلب به سبحانه وحده، فلا يخاف أحدًا سواه، ولا يتعلق قلبه بأحد سواه، فلا يدعو من دون الله تعالى وليًّا ولا أحدًا من الصالحين وكذلك إذا علم أنه هو أحكم الحاكمين، وأنه هو الملك العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، فإن ذلك يترجم من الناحية العملية إلى الرضا بشريعته سبحانه والتحاكم إليها، وعدم الرضا بحكم أو شريعة دونها.

إذا تعلم المسلم العقيدة الصحيحة وعرف معنى كلمة التوحيد جعل هذه الكلمة منهج حياة له في كل شيء، وحينئذ يكون قد وقف على المعاني العظيمة لهذه الكلمة العظيمة.

لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله.

أي: لا نخاف إلا الله، ولا نرجو إلا الله.

لا نلجأ لأحد ندعوه لكشف ضر أو جلب نفع إلا الله.

لا نتحاكم إلى شرع أو قانون غير كتابه وسنة نبيه ﷺ.

في مجال العبادات والأخلاق والمعاملات:

إذا علم المسلم منزلة الصلاة وقيمتها سارع إلى المحافظة عليها والخشوع فيها وتدبر معانيها، والالتزام بأدائها في أوقاتها، والإكثار من النوافل التي تقربه إلى الله تعالى.

ففي الحديث الشريف: « ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي

يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه».

وفي الحديث: «الصلاة خير موضوع» أي خير ما شرعه سبحانه للتقرب إليه، فإذا علم العبد ذلك استكثر من الصلاة ما استطاع مع التذرع بالصبر على منهج الله تعالى والرضا بقضائه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾[1].

-وكذلك إذا علم فضيلة الصوم وعظم منزلته عند الله حافظ عليه وازداد منه،وأكثر من نوافله تزكية لنفسه وتأسيًا برسوله ﷺ.

-وكذلك إذا علم منزلة الزكاة والصدقة وأثرها في تزكية النفوس وتطهيرها من داء الشح والبخل؛ فإنه يحرص على أداء الزكاة المفروضة ويكثر من التصدق والإنفاق في وجوه الخير بعد أداء الفريضة.

وهكذا في كل باب من أبواب الخير تكون تزكية النفس، فزكاة النفس وطهرها وصلاحها يحصل بالصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وتلاوة القرآن وقيام الليل والتصدق على المساكين والإنفاق في وجوه الخير وسائر القربات وبر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران وغير ذلك من أبواب الخير العديدة، كما تحصل زكاة النفس باجتناب الإثم والفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن، وقد نبه الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى غضّ أبصارهم وحفظ فروجهم، وبين لهم أن :﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾[2] أي أطهر لنفوسهم وأطيب وأصلح لها.

فبفعل الخيرات واجتناب المنكرات تحصل زكاة النفس.

كما تحصل كذلك برقة القلب، وترقيق القلوب يحصل بمدارسة الرقائق من ذكر الموت وأهوال القبور والحشر والصراط والميزان وسائر أهوال اليوم الآخر

---

(١) البقرة: ٤٥.

(٢) النور: ٣٠.

والجنة والنار، وذكر أخبار الصالحين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والنظر في القلوب لتطهيرها من الشهوات ورذيل الآفات كالرياء والكبر والغرور والفخر والحسد والحقد وغير ذلك من الآفات المفسدة للقلوب.

ثم السعي إلى اكتساب ما يصلحها ويرققها من تقوى الله تعالى والتوكل عليه والصدق معه واليقين بما عنده، وصدق الرجاء والرغبة إليه والرهبة منه، وغير ذلك من جميل الصفات.

فالمسلم يتعلم ذلك بالقراءة والاطلاع والمدارسة على المشايخ ومع الإخوان وسماع أشرطة أهل العلم وغير ذلك، ثم يحاول تطبيق ما سمع والتدرج بنفسه من حال إلى حال رقيًّا في الكمال، فيجتهد في تحقيق مقام التقوى، فإذا صار قدمًا انشغل بتحقيقه مقام التوكل، ثم مقام الصدق والإخلاص ... إلخ، وليس معنى ذلك أنه ينشغل بتحقيق صفة ويهمل باقي الصفات، ولكنه يجتهد في تطبيق الصفة فيراقب نفسه حتى تتمرس بتلك الصفة، وتعتادها.

كما أن عليه كذلك مراقبة أخلاقه وآدابه وسلوكه، فيحاول امتثال ما تعلم من ذلك أولاً بأول، ويراقب نفسه حتى تعتاد ما يعودها عليه من الأخلاق: كالصدق والعدل والأمانة والوفاء والإيثار... ونحو ذلك.

وكذلك يراقب سلوكه في آداب الطعام والشراب واللباس والنوم والسير والحديث والاجتماع وغير ذلك.

وبذلك يصبح مسلمًا حقًّا زكيًّا مستقيم السلوك.

نموذج قرآني فريد في تزكية النبي ﷺ لأصحابه:

لقد صوَّر لنا القرآن الكريم كيف زكّى النبي ﷺ نفسه وأصحابه وربّاهم في مدرسة القرآن على الصلاة وقيام الليل وتلاوة القرآن وسماعه، قال تعالى في سورة

المزمل: ﴿يأيها الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾(١).

فهذه تزكية الله لنبيه ﷺ وتربيته له، حيث أمره بما يزكي به نفسه من صلاة الليل وقيامه وتلاوة القرآن، وأمره أن يقوم في ذلك ما استطاع من الليل نصفه أو أكثر أو أقل.

ثم يصور لنا القرآن الكريم كيف أخذ النبي ﷺ وأصحابه بهذا المنهج وكيف ثبت أصحاب النبي ﷺ معه على هذا المنهج سنة كاملة كانت تزكية لهم وتأهيلاً لحمل أمانة الدعوة لهذا الدين العظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُم مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢).

إنها دعوة شاملة للتزكية بكافة صورها من قيام الليل وتلاوة القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات والمجاهدة في سبيل الله تعالى كل ذلك طلبًا لزكاة النفس وصلاحها.

استمرارية التزكية:

إذا كنا قد قررنا وجوب البدء بإصلاح النفس وتزكيتها؛ فإن ذلك لا يعني أن التزكية مجرد مرحلة في بادئ الأمر ثم تنتهي، ولكن المقصود هو إشعال جذوة الحمية الإيمانية، وإذكاء نارها، ثم بعد ذلك لابد من تعهد تلك النار بتغذيتها

(١) المزمل: ١-٤.
(٢) المزمل: ٢٠.

بالوقود الصالح حتى لا تنطفئ، وحتى لا يتحقق للشخص مَثَل المنافقين الذي ضربه الله لهم حيث قال: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾[1].

الإيمان شجرة تحتاج إلى وقفة لغرسها وتثبيتها، ثم تحتاج بعد ذلك تعهدًا بالرعاية والسقاية حتى تؤتي أكلها وثمارها كل حين بإذن ربها، وكذلك المؤمن لا يستغني عن الاجتهاد في العبادات والطاعات التي تزكي نفسه، ولا يستغني عن إنابة وتوبة وتطهير لنفسه وقلبه من الأدناس والأرجاس.

❁❁❁

(١) البقرة: ١٨.

اليقظة والتفكر

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...﴾

[سبأ: ٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد...،

أخي المسلم ...

أختي المسلمة ...

تلك هي الصفات الأولى التي تفرعت عنها صفات الرجال الأفذاذ العظماء من أصحاب محمد ﷺ!

يقظة القلب، وتفكر العقل، ونور البصيرة،وصدق العزيمة.

يقظة تطرد الغفلة، وفكرة تنير البصيرة، وتثير العزيمة، وتبعث الإرادة.

تلك هي المنازل الأولى في مدارج السالكين، التي ينبغي أن يتحلى بها العبد في أول طريق العبودية.

***نداءات القرآن لإيقاظ الإنسان:**

فها هي تلك النداءات الربانية لعباده تتوالى فتزيح عنهم غشاوة الغفلة، وغطاء الشهوة:

﴿يأيها النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[1].

---

(١) فاطر:٣

﴿يأيها النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِالله الغَرُورُ(٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

إنها نداءات تبعث على اليقظة، وتدعو إلى الفكرة!

إنها تدعو العباد أن يتفكروا في نعم الله تعالى عليهم، وفي تفرده بذلك الإنعام، فيفردوه بالعبودية كما أقروا له بالتفرد في الربوبية.

تدعو العباد أن يتفكروا في زوال هذه الحياة، وأن ما يتعلقون به فيها إنما هو السراب، وأن ما وعدهم الله تعالى هو الحق فيعلمون أن الشيطان إنما يدعوهم إلى عذاب السعير.

تدعوهم أن يتفكروا في افتقارهم جميعًا إلى الله تعالى وحاجتهم إليه، وأنه ما من مخلوق إلا وهو مفتقر إليه في جميع أحواله، لا يملك من أمر نفسه شيئًا، فيدعوهم ذلك إلى التوجه إليه سبحانه وتعالى بحاجاتهم فهو الغني سبحانه دون من سواه.

تدعوهم أن يتفكروا في هول المطلع، وزلزلة الساعة، وتصور لنفوسهم مشاهد الحشر التي تأخذ النفوس، وترتجف لها القلوب.

تدعوهم أن يتفكروا في استحقاقه سبحانه للعبودية، كما انفرد وحده بالخلق والربوبية.

﴿يأيها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) فاطر:٥-٦.

(٢) البقرة:٢٢.

*القرآن كله إيقاظ للقلوب من غفلتها:

فالقرآن كله من أوله إلى آخره إيقاظ للقلوب، وبعث للنفوس من سباتها وغفلتها، وهو لا يفتأ ينعى على الناس غفلتهم، ويوبخهم ويبكتهم عليها، ويصور لهم عاقبتها المريرة.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[1].

*تفاوت الناس في الغفلة:

والغفلة داء يعرض لبني آدم، إلا أن منهم من تستحكم به الغفلة حتى لا يفيق لمطلوب الله تعالى منه، فينسى نفسه، ويجهلها ويجهل ما يصلحها ويشفيها من دائها العضال، كما قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[2].

ولا تستحكم الغفلة إلا بكافر معرض عن دين الله تعالى، أما المسلم فقد تعرض له الغفلة فيقع في المعصية ثم يفيء إلى الطاعة فهو كخامة الزرع التي تميل مع الريح وتفيء معها.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع: من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء. والفاجر كالأرزة صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء"[3].

*والخامة: بالخاء المعجمة وتخفيف الميم هي: الطاقة الطرية اللينة، أو الغضة

---

(١) الأنبياء:١-٣.

(٢) الحشر:١٨ ـ ١٩.

(٣) الحديث في صحيح البخاري كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض وقول الله تعالى: ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ (١٠/ ١٠٧)، (ح٥٦٤٤) وطرفه في(٧٤٦٦).

أو القصبة.

* والأرزة: بفتح الهمزة وقيل بكسرها وسكون الراء بعدها زاي هي: الثابتة في الأرض، وقال ابن سيده: الأرز العرعر، وقيل: شجر بالشام يقال لثمره الصنوبر وقالوا: شجر معتدل صلب لا يحركه هبوب الريح.

* تعهد النبي ﷺ نفسه وأهله وإيقاظه لهم:

وقد كان النبي ﷺ يتعاهد نفسه دائمًا كيلا يغفل عن ذكر الله تعالى وطاعته، وكان يتعهد أهله دائمًا فيوقظهم من غفلة عارضة لطاعة الله تعالى.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أم سلمة ـ زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: "سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحبات الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»[1].

قال الحافظ: «وإنما خصهن بالإيقاظ لأنهن الحاضرات حينئذ، أو من باب "ابدأ بنفسك ثم بمن تعول... وأشار ﷺ بذلك إلى موجب إيقاظ أزواجه، أي ينبغي لهن ألا يتغافلن عن العبادة ويعتمدن على كونهن أزواج النبي ﷺ»[2].

يطرق النبي ﷺ ابنته فاطمة وابن عمه عليًّا بالليل ليوقظهما لقيام الليل وطاعة الله.

فقد روى البخاري في صحيحه أيضًا بإسناده عن علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال:« ألا تصليان؟»، فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُولٍّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه وأطرافه في(١١٥-١١٢٦-٣٥٩٩-٥٨٤٤-٦٢١٨-٧٠٦٩).
(٢) الفتح(١/ ٢٥٤-٢٥٥).

يضرب فخذه وهو يقول: « وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا»[١].

*تعهد النبي ﷺ أصحابه وإيقاظه إياهم:

وقد كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه كذلك إذا ما عرضت لهم غفلة كذلك، فها هو يتعهد عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، فعن عبدالله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا عبدالله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل» [٢].

*استيقاظ الصحابة -رضي الله عنهم- للغاية التي خلقوا لأجلها:

استجاب أصحاب النبي ﷺ لتلك النداءات الربانية، والتوجيهات النبوية، فقد أثرت فيهم تلك القدوة النبوية، وآتت ثمارها النورانية، فها هي زوجات النبي ﷺ يستيقظن فيصلين من الليل، ويتفكرن في ملكوت السموات والأرض.

وها هو علي ﷺ وفاطمة بنت النبي ﷺ لا ينامان إلا على ذكر الله تعالى يسبحان ثلاثًا وثلاثين ،ويحمدان ثلاثًا وثلاثين ،ويكبران أربعًا وثلاثين.

ها هو علي ﷺ لا يدع ذلك التسبيح قبل نومه في ليلة مهما كانت الشدة والبأس، فيخبر عن نفسه أنه ما ترك ذلك التسبيح في ليلة قط، حتى ولو كانت ليلة قتال وبأس شديد.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن أبي ليلى، حدثنا علي أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ:" على مكانكما"، فقعد بيننا، حتى وجدت برد قدمه على صدري، ثم قال: "ألا

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه وأطرافه في(١١٢٧-٤٧٢٤-٧٣٤٧-٧٤٦٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن يقومه(١١٥٢)، ومسلم في الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر(١١٥٩).

أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم"، وفي بعض طرقه، قال علي: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين»[١].

وها هو عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- يعظه رسول الله ﷺ في قيام الليل، وينصحه ألا يغفل عنه أو يتهاون فيه، فإذا هو بعد ذلك لا ينام الليل، يقوم الليل فلا يفتر، ويصوم النهار فلا يفطر، حتى يلومه النبي ﷺ على ذلك أيضًا ليرده إلى حد الاعتدال في العبادة.

فقد روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال لي النبي ﷺ: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟"، قلت: إني أفعل ذلك. قال:" فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينُك، ونفهت نفسك، وإن لنفسك حقًا ولأهلك حقًا، فصم وأفطر، وقم ونم"[٢].

لقد كانت اليقظة في أمر الله تعالى من الصفات الأصيلة في أصحاب محمد ﷺ كأنما قد طبعت تلك الصفة في معادنهم، فقد تحلى بها كثير من أصحاب النبي ﷺ قبل إسلامه، فكانت سببًا يقوده إلى الحق.

فها هو عمر بن الخطاب ﷺ يدخل في الإسلام لسماع آيات من القرآن[٣].

وها هو الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ يأتي النبي ﷺ فيستمع منه إلى سورة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم (٥/ ٥٧٣-٥٧٤) ط الشعب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب "التهجد"(٢٠) في(١١٥٣) وقال الحافظ: "نفهت" بنون ثم فاء مكسورة أي: كلت، هجمت عينك: بفتح الجيم أي غارت أو ضعفت لكثرة السهر.

(٣) قصة إسلام عمر ﷺ ذكرها الهيثمي في "المجمع"(٩/ ٦٣-٦٤) مطولة وقال: "رواه البزار وفيه أسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف". وقد أورد قصة إسلامه ولها روايات متعددة لا تخلو كلها من ضعف، لكن كثرة مخارجها تدل على أن لها أصلاً.

الإخلاص والمعوذتين فيسلم في الحال[١].

وها هو عمر أيضًا يثور لوفاة النبي ﷺ فيصيبه من شدة الحزن غفلة عارضة عن بعض ما أنزل الله في كتابه فيقرأ أبو بكر ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[٢].

فيلقي عمر بجرانه إلى الأرض، وتهدأ نفسه من ثورتها، ويعلم أنه أمر الله الذي لابد منه[٣].

وهكذا أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

ينبغي أن تكون يقظًا دائمًا لأمر الله تعالى.

يقظًا للغاية التي خلقك لأجلها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤].

يقظًا لنداءات القرآن المتكررة بالرجوع إلى الله والإنابة إليه.

يقظًا لمداخل الشيطان وحيله عليك.

يقظًا لهوى نفسك وشهواتك ونزغات النفوس.

ينبغي أن تكون يقظًا، فلا تركن إلى الغفلة، ولا تَسْتَحْلِ الرقدة، وتأمل إيقاظ الله تعالى لنبيه ﷺ بقوله: ﴿يأيها المُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا﴾[٥].

---

(١) ذكره الحافظ في الإصابة(٣/ ٢٨٧) بإسناد فيه ضعف، والمقصد الاستشهاد ليقظة قلوب الصحابة قبل الإسلام وإسلامهم بمجرد سماع القرآن، وشواهده كثيرة معلومة بالضرورة أن النبي ﷺ كان يعرض عليهم الإسلام ويتلو عليهم القرآن فيسلمون، ويستجيبون لله ورسوله .

(٢) آل عمران:١٤٤.

(٣) الخبر أخرجه بطوله البخاري في "فضائل الصحابة"(٣٦٦٧-٣٦٦٨).

(٤) الذاريات:٥٦.

(٥) المزمل:١-٢.

﴿يأيها المُدَّثِّرُ(١) قُمْ فَأَنْذِرْ(٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥) وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[1].

قال عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله-:

ومن الناس من يعيش شقيًّا جيفة الليل غافل اليقظة

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

إذا يئست من عد نعم الله عليك، فانظر هل تستطيع عد ذنوبك؟ وانظر هل أحصيت هذه النعم شكرًا وعرفانًا؟

فاستيقظ من غفلتك، وانظر كم عليك من الديون لمولاك؟ فسارع ولو بأداء القليل؛ فإنه سبحانه جواد كريم، يقبل القليل ويثيب عليه الكثير.

❁❁❁

(١) المدثر:١-٧.

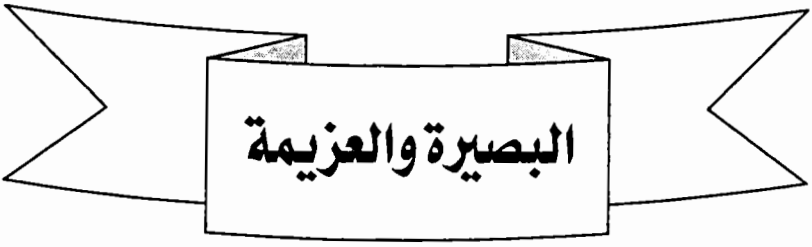

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

كانت الصفة الأولى التي آثرنا البدء بها هي صفة اليقظة والتفكر؛ وذلك لأن هذه الصفة هي مبدأ الهداية، فالعبد إذا استيقظ من غفلته، وتفكر فيما خلقه الله له، بصَّره الله تعالى بالغاية التي خلقه لأجلها وهي عبادته سبحانه، وبصَّره بسبل الوصول إلى تلك الغاية، فإذا ما لاحت أمارات الهداية والبصيرة في قلب العبد، واستنار قلبه بنور الهدى، تحركت عزيمته لسلوك سبيل المتقين، فاليقظة إذا ما تمكنت من العبد صارت تفكرًا، والفكر إذا رسخ صار بصيرة، والبصيرة إذا استنارت صارت عزيمة، فإذا وجد العزم فقد صدقت النية، وكان التوفيق من الله تعالى للعمل الصالح.

ومن ثم أتبعنا حديثنا عن اليقظة والتفكر بهاتين الصفتين وهما: البصيرة والعزيمة، وما أحوجنا اليوم إلى البصيرة النافذة التي تميز بين مشتبهات الأمور، وتنير الطريق؛ حيث اختلطت السبل، والتبست معالم الحق ومناراته بدروب الباطل ومسالكه، فتثبط أكثر الخلق عن سلوك سبيل الهدى، وفترت عنه عزائمهم.

وها نحن نرفع شعلة من نور نضيء بها الطريق، ونقول: إن الطريق من هنا:

من اليقظة لأمر الله.

من التفكر في الغاية التي خلق العبد لأجلها.

من البصيرة بدين الله تعالى وتبين سبيله.

من العزيمة الصادقة على سلوك هذه السبيل.

فهذه هي منارات الطريق، وتلك هي أعلامه ومعالمه!

فهل من مستضيء بتلك المنارات؟

وهل من سالك لهذا السبيل؟

ألا .. هلموا إلى سبيل النجاة!!

❊تعريف البصيرة:

❊البصيرة: هي قوة القلب المنوَّر بنور الله، يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها[1].

فالبصيرة إذًا قوة نورانية ربانية يخلقها الله تعالى في قلب المؤمن الذي استنار قلبه بالتفكر في طاعة الله تعالى، ولم ينشغل بشيء سوى وعده ووعيده، وجنته وناره، والشوق إلى لقائه، والحذر من سخطه وعقابه.

والقلب المتبصر هو القلب الذي استنار بنور الله تعالى وعرف الحق من الباطل، وتمرس بالنجاة من الفتنة والتغلب عليها، وإيثار الآخرة على العاجلة، ورضوان الله تعالى على شهواته ورغباته.

إنه القلب الذي يرى بنور الله تعالى، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾"[2].

---

(١) انظر: «التعريفات» للجرجاني ص(٤٦).

(٢) الحجر: ٧٥. والحديث رواه الترمذي (٢٧/ ٣) وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم، والحديث ساقه الهيثمي في «المجمع» من حديث أبي أمامة (١٠/ ٢٦٨) وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن. قلت: والحديث ليس به معنى يخالف النصوص الشرعية، ومثله يؤخذ به في أبواب الزهد والرقائق دون الأحكام الشرعية، ويشهد له ما سوف نورده بعد ذلك.

وقد وصف النبي ﷺ القلوب، ووصف فيها قلب المؤمن التقي الذي ينكر الفتنة ولا يقع فيها لتبصره واستنارة قلبه فيزداد قلبه بصيرة ونورًا حتى يصبح قلبه مثل الصفا لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض؛ ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيها نكتة بيضاء حتى تصير -أي القلوب- على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه..." الحديث[1].

والمؤمن الذي رزق البصيرة في دين الله تعالى هو الذي يميز بنور الله تعالى بين ما اشتبه عليه من الحلال والحرام، فيتبين الحلال فيأتيه، ويعرف الحرام فيجتنبه، ويميز بين سبيل الخير والشر، فعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الحلال بَيِّنٌ، وإن الحرام بَيِّنٌ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ

---

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان" / باب: ذكر الفتن التي تموج كموج البحر (١/ ٣٥٤) – ط. الشعب.

* شرح غريب الحديث:

- معنى "تعرض الفتن" أي: أنها تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

وشبه ﷺ عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد.

- ومعنى "عودًا عودًا" أي: تعاد وتكرر شيئًا بعد شيء.

- ومعنى "أشربها" أي: دخلت فيه دخولاً تامًّا وألزمها وحلت منه محل الشراب.

- ومعنى "مربادا كالكوز مجخيًّا" جاءت مفسرة في آخر الحديث: قال أبو خالد: فقلت لسعد يا أبا مالك "ما أسود مربادًا"؟ قال: شدة البياض في سواد قال: قلت: فما الكوز مجخيًّا؟ قال: منكوسًا – أي: مائلاً..

ومعنى الحديث: أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام -وبصيرته- والقلب مثل الكوز فإذا تنكس انكب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك. انظر "النووي" شرح مسلم(١/ ٣٥٦).

لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1].

* أصل البصيرة وحقيقتها:

وأصل البصيرة وحقيقتها هي: في معرفة العبد للغاية التي خلق لأجلها، وهي التي أخبر الله تعالى عنها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

فإذا تفكر العبد في غاية خلق الله تعالى له، علم أنه إنما خلق ليحقق عبوديته لله تعالى متمثلة في طاعة أمره ونهيه، والتزامه بمنهج الله تعالى، وما أنزله على رسوله ﷺ في كل شأن من شئون حياته، في عبادته ونسكه ومعاملاته وسلوكه، في صلاته وصيامه وزكاته وحجه، في بيعه وشرائه ونكاحه وطلاقه، وسيره في الناس سيرة حسنة يرضاها الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون.

*البصيرة تفجر العزيمة:

اعلم يا عبد الله!

واعلمي يا أمة الله!

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(٤/ ١١٠-١١٢) واللفظ له.

* غريب الحديث:

- معنى "مشتبهات" أي: أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك.

- معنى "استبرأ لدينه وعرضه" أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي، وصان عرضه من كلام الناس فيه.

(٢) الذاريات: ٥٦.

أنك إذا استنار قلبك بنور الله تعالى، فصرت ذا بصيرة في دين الله تعالى، تعرف غايتك، وتعرف سبيل الهدى والفلاح فإنك سرعان ما يمتلئ قلبك بالعزم على العمل الصالح، والسعي ابتغاء مرضاة الله تعالى، والفرار من سخطه وعقابه.

❊العزيمة:

❊العزيمة: هي عقد القلب على إمضاء الأمر.

فكأن القلب قبل ورود العزيمة عليه يكون متحيرًا مترددًا بين الفعل والترك فإذا وقع فيه العزم، فقد انعقد على الفعل وإمضاء الأمر دون تردد ولا تحير، وذلك لوضوح الأمر لديه واكتمال همته، وقوة إرادته، ووضوح غايته.

ولأهمية العزيمة فقد كان ﷺ دائم التوجه إلى الله تعالى بطلبها، فكان ﷺ يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد"[1].

❊لا طاعة بغير عزيمة:

اعلم أخي المسلم! وأختي المسلمة!

أن الطاعة لا تتحقق ولا تحصل لك إلا بالعزيمة الصادقة؛ فالعزيمة هي: النية والإرادة الجازمة على الفعل، وقد أخبر النبي ﷺ أن «الأعمال بالنيات»، أي: إن الأعمال لا تكون ولا تحصل إلا بالنية وهي العزيمة الصادقة والإرادة الجازمة.

فالعجب كل العجب لمن تدعوه إلى الصلاة فيقول لك:

إنني أريد الصلاة، ولكن الله تعالى لم يأذن بعد!

وهذا العبد كاذب في دعواه أنه يريد الصلاة، فهو في الحقيقة إنما يمني نفسه مجرد أماني كاذبة أن يصلي، ولكنه لم يعزم في نفسه ولم ينو نية صادقة، ولا وجدت

---

(١) رواه النسائي(٣/ ٥٤) واللفظ له، والترمذي وأحمد، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه برقم(٢٤١٦).

لديه إرادة جازمة للصلاة.

ولذا فقد أخبر الله تعالى أن هذه الطاعات العظيمة مثل إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء، كل ذلك إنما يحتاج إلى عزم وإرادة قوية. قال تعالى على لسان لقمان -عليه السلام-: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾[1].

إذًا فالعزيمة الصادقة تعني: المضي في الأمر وعدم التردد فيه، فإذا رزقت العزيمة في أمر من أمور الخير فهي منة ونعمة من الله تعالى عليك، فسارع باغتنامها؛ فإن القلوب سريعة التحول والتقلب، فلا تظل دهرك مشتت العزمات مترددًا بين الفعل والترك فتبقى حسيرًا منقطعًا.

ولله در القائل:

ومشتت العزمات يمضي دهره حيران لا ظفر ولا إخفاق

* العزيمة الصادقة مفتاح كل خير:

اعلم أخي الحبيب! أختي الحبيبة!

أن العزيمة الصادقة مفتاح كل خير، ولذا فقد كرر الله تعالى ذكرها في كتابه الكريم، وعلق عليها كثيرًا من الأمور العظام التي لا تتحقق إلا بعزيمة صادقة من العبد.

فقد علق عليها الصبر والتقوى فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾[2].

---

(١) لقمان: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٨٦.

وعلّق عليها كثيرًا من أمور الإيمان بدءًا من التوحيد وطاعة الوالدين وشكر صنيعهما، والصبر على مجاهدتهما في عدم الإشراك بالله تعالى، واتباع سبيل المنيبين إلى الله تعالى، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على البلاء فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ۞ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ۞ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۞ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا الله إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ۞ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1].

كما علق عليها الصبر والعفو والمغفرة وغير ذلك من أخلاق المتقين في قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ الله خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ۞ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّنْ سَبِيلٍ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2].

وكذلك فقد سمي قيام الجهاد عزيمة وعزمًا فقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[3].

---

(١) لقمان: ١٣ - ١٧.

(٢) الشورى: ٣٦ - ٤٣.

(٣) محمد: ٢١.

وكذلك فقد وصف الله تعالى خير خلقه من خيرة رسله بأنهم أولوا العزم، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1].

وهذا كله يبين لنا أهمية العزيمة.

نسأل الله تعالى أن نكون من أهلها، وأن نكون من أولي العزم في دين الله تعالى، الثابتين على الحق، وأن نكون من الفرقة الناجية المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"[2].

❁❁❁

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) أخرجه البخاري(٧٣١١)، ومسلم(٤/ ٥٨٢) - ط.الشعب.

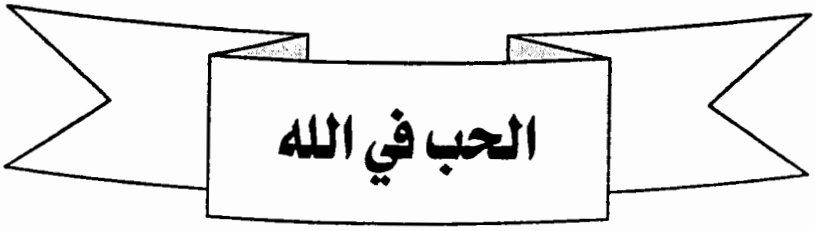

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الحشر: ٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد...،

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

ما أحوجنا في هذه الأيام إلى محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين!

لقد امتلأت القلوب بحب الدنيا ومحبة الشهوات والملذات!

ولكن هل تحققت لنا بذلك السعادة؟

إن السعادة الحقة لا تتحقق إلا بمحبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين!

وقد ندعي أننا نحب الله تعالى ونحب رسوله ﷺ، ولكن الله تعالى يبين لنا في كتابه العزيز، وفي سنة نبيه ﷺ الدلائل والبراهين الحقيقية على صدق هذه المحبة أو كذبها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله

---

(١) آل عمران: ٣١.

ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[١].

فظهر لنا من ذلك أن تحقُّقَ السعادة الحقة وحلاوة الإيمان موقوف على تحقق محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ومحبة المؤمنين!

وهذا بدوره موقوف على تحقيق طاعة الله ورسوله ﷺ والالتزام بحقوق الأخوة الإيمانية والتوبة النصوح من الذنوب والمعاصي جميعها.

ولا شك أن مما يهون على المرء سلوك سبيل الطاعة، والثبات في طريقة الدين، أن يجد لإيمانه حلاوة، وأن يستشعر لطاعته لذة، فتهون عليه صعاب الطريق، وتخف عليه وطأة السير فيه.

ولقد صرنا في زمان أصبح فيه شعور المرء بحلاوة الإيمان ولذة الطاعة أمرًا عزيزًا ؛ وذلك لأن الحياة المادية قد طغت على القلوب، ورنت عليها بثقلها و قسوتها. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

ويقول: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾[٣].

وأصبح القليل من الناس هم الذين يشعرون بهذه الحلاوة، ويجدون تلك اللذة، وهم العقلاء الأتقياء من الناس، وهم أهل السعادة والفلاح والنجاح في الدارين.

أما بقية الخلق فقلوبهم في غمرة من الشهوات والشبهات، قد غمرها الباطل

---

(١) أخرجه البخاري في (الإيمان) باب: حلاوة الإيمان(١١٨) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم كتاب الإيمان أيضا ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان(ح ٤٣).

(٢) المطففين:١٤، و﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي : غطى عليها وحجبها ما كانوا يكسبون من المعاصي، فتصير القلوب محجوبة عن الهداية ،وعن وجود حلاوة الإيمان.

(٣) المؤمنون: ٦٣.

فحجبها عن رؤية الحق والخير وغطى عليها ران المعصية فحال بينها وبين لذة الطاعة.

ولما كان هذا الأمر قد عم بلاؤه، وكثر منه الشاكون من عقلاء المؤمنين، وإنه لأمر يدعو للدهشة والاستغراب، فكما أن المرء يعجب ويدهش حينما يأكل من تفاحة جميلة زاهية ناضجة ثم لا يجد لها حلاوة ولا طعمًا جميلاً، كذلك فإنه ينبغي أن يكون أشد عجباً:

حينما يصلي فلا يخشع، ويقرأ القرآن وعينه لا تدمع، ويُذكَّر بآيات الله فلا يتعظ، ويُخوَّف بالزواجر والقوارع فلا ينـزجر.

ويرى ما يلم بأمثاله من العصاة من العقوبة فلا يرعوي[1]. وما يتكرر في دهره من المصائب والحوادث فلا يتأثر أو يتعارض عنده أمر لله أو أمر لرسوله ﷺ مع هوى نفسه، فيتبع الهوى، ويعرض عن طاعة ربه.

أو يرى محنة أو بلاء ينزل بإخوانه المؤمنين، فلا يفرح لفرحهم، ولا يحزن لأحزانهم.

أو يرى أنه لا يحب أحداً من إخوانه إلا لمصلحة أو منفعة، وأنه لا يستشعر بينه وبين إخوانه رابطة المحبة والولاء والإخاء في الله تعالى.

أو يرى أنه لا يحب الطاعة ولا ينشرح لها صدره، ولا يكره المعصية ولا تنقبض لها نفسه.

فمن كان كذلك، أو كانت به بعض تلك الصفات فليحذر، فإنه قد فقد حلاوة الإيمان، ومن فقد حلاوة الإيمان يوشك أن يفقد الإيمان كلّه، إذ كيف يصبر على شيء لا يستحليه ولا يستعذبه، ولا يجد له لذة ولا حلاوة؟!

---

(١) يرعوي: أي ينـزجر

فهيا أخي المسلم.. وأختي المسلمة .. نحقق أسباب محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ حتى تتحقق لنا حلاوة الإيمان:

*** المحبة وحلاوة الإيمان:**

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"(١).

نلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ يشبه الإيمان بثمرة لها حلاوة ومذاق، كتفاحة مثلاً أو غيرها من الفاكهة، ويخبر النبي ﷺ أن وجود حلاوة هذا الإيمان المشبه بتلك الثمرة لا يتاح لكل واحد يدّعي الإيمان، بل لابد لوجود الشخص حلاوة ذلك الإيمان من صفات أصيلة ترسخ في قلبه، وهذه الصفات لها علاقة جد وثيقة بحقيقة الإيمان ومعناه، فمن حقق تلك الصفات، وجد حلاوة الإيمان ومن لم يحققها لم يجد حلاوته.

وهذه الصفات راجعة إلى تلك الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث وهي:

١ -أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما.

٢ -أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣-أن يكره أن يعود في الكفر وما يتعلق به من المعاصي كما يكره أن يلقى في النار.

*** من أهم مظاهر غياب الحب في الله:**

من خلال الحديث السابق نستطيع أن نلمح أهم مظاهر فقدان حلاوة الإيمان، ومن هذه المظاهر:

---

(١) أخرجه البخاري في (الإيمان) باب: حلاوة الإيمان(١١٨) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم كتاب الإيمان أيضا ، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان(ح ٤٣).

١ - تقديم محابّ النفوس على محاب الله تعالى:

إذا فقدت القلوب حلاوة الإيمان رأيت علامة ذلك أن يؤثر المرء محاب نفسه وأهواءها وشهواتها على محاب الله تعالى وأوامره وتكاليفه.

فيؤثر الانشغال بالدنيا على الدعوة إلى الله.

وقد يستعجل أمره فيؤثر جمع المال على الصلاة!

ويؤثر التمتع بالحرام على العفة والطهارة!

ويؤثر سماع الغناء على سماع القرآن!

ويؤثر سماع اللغو من الأفلام والمسلسلات والمباريات!

وغير ذلك على سماع الوعظ والعلم النافع!

ويؤثر الإقراض بالربا على إنظار المعسر المحتاج!

ويؤثر الرِّشوة على العفة!

ويؤثر الجشع وأكل الأموال بالباطل على القناعة والرضا بما قسمه الله!

وسبب ذلك كله أن نفسه وهواه أحب إليه من الله ورسوله ﷺ! فمن كان كذلك فليعلم أن جذوة الإيمان قد خمدت في قلبه أو تلاشت، وأنه لا بد له من وقفة مع نفسه يجدد فيها إيمانه ويسارع فيها بالتوبة إلى الله.

٢ - غلبة النظرة المادية على القلب، وغياب الحب في الله:

فحينما تغيب عن القلوب حقيقة الإيمان، لا يبقى في القلوب إلا المقاييس الأرضية المادية، فيقاس الخير والنفع بما يحقق للمرء نفعًا ماديًّا عاجلاً.

فلا معنى للأخوة في الله!

ولا معنى للصحبة والصداقة والوفاء!

تزول كل هذه المعاني حينما تغلب المادة على القلوب.

٣-التعلق بالمعصية والحنين إليها :

*أسباب وجود حلاوة الإيمان :

بقي أن نبين بعد ذلك من خلال الحديث كيف يذوق المرء حلاوة الإيمان؟ وهذا ما تصدى له هذا الحديث الجليل: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان".

١-أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢- أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣-أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار.

ويمكننا أن نترجم هذه الكلمات النبوية فنقول من خلال هذا البيان النبوي العظيم :

❁ إن الأسباب التي تحصل بها حلاوة الإيمان ثلاثة هي :

١- تقديم محابِّ الله ورسوله على محابِّ النفوس.

٢- غلبة النظرة الإيمانية على القلب.

٣- التوبة من المعاصي وقطع التعلق بها.

أولاً: تقديم محابّ الله ورسوله على محابّ النفوس:

هذه هي أعظم أسباب زيادة الإيمان واستشعار حلاوته، أن تعظم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ في القلوب.

واعلم أن المحبة ليست ادعاء، ولكنها عمل من أعظم أعمال القلوب، وأنها إذا ما استقرت في القلب خالطته بشاشة الإيمان فيهفو القلب إلى محاب الرحمن، وتتبعه الجوارح كلها منقادة ذليلة، فتسعى الأقدام إلى الطاعات وتميد الأيدي بالإحسان، ويسبح اللسان والجنان، ويغض الطرف، وتخشع النفس، ويرق القلب،

وتدمع العين.

وذلك أن المحبة أصلها في القلب، فإذا أحب القلب فاطره ومولاه، لانَ ومال إلى طاعته، والجوارح له تبع، وإذا خلا من المحبة نفر من الطاعة، والجوارح له تبع.

فالدليل على صدق محبة المرء لله تعالى ورسوله ﷺ هو اتباعه لأوامر الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ في كل ما أمر به وما نُهِي عنه، وعلى قدر زيادة المحبة ونقصانها يكون زيادة الاتباع ونقصانه.

وقد تأتي الطاعة والاتباع لله ورسوله ﷺ من الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب، ولكن لا يجد المرء حلاوة الإيمان ولا لذة الطاعة والاتباع إلا بأن تكون طاعته واتباعه لله ورسوله ﷺ عن محبة خالصة.

ومثال ذلك: الطالب الذي يذاكر وهو خائف شديد الخوف من الرسوب والفشل فإنه ينجح ويرتقي، ولكنه لا يجد للمذاكرة لذة في حينها، إذ كيف يجد اللذة خائف وجل متألم متضرر؟!

وكذلك من يعبد الله ويطيعه رجاء الرزق والفضل والسعة في الدنيا أو الآخرة فإنه لا يجد كمال اللذة للطاعة ولا العبادة؛ لأنه إنما يفعلها اضطرارًا فهو يرى أنه مضطر للعبادة لتحصيل الرزق والفضل، كما أن الخائف يرى أنه مضطر للعبادة للنجاة من العذاب.

أما المحب لله تعالى وشرعه فهو يعبد الله تعالى محبة لذاته وصفاته وفعاله وشرعه لا لمجرد الخوف ولا لمجرد الطمع، وإن كان الخوف والطمع مطلوبين كذلك غير مذمومين، فقد ذَكَرَ الله تعالى أنبياءه- عليهم السلام- وذكر أنهم يدعونه طمعًا وخوفًا، فقال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[1].

---

(١) الأنبياء: ٩٠.

والرغب هو: الرغبة والطمع في ثواب الله تعالى، والرهب هو: الخوف والرهبة من عقابه، وهذا إنما يحسن من العبد في حالة الدعاء والتضرع فينبغي له أن يظهر تذلله ورغبته فيما عند الله تعالى، ويُلح في الدعاء والمسألة فإنه من تمام عبوديته لله تعالى وبه تكتمل لذة الطاعة.

فالمرء إنما يتلذذ بالتزلف والتقرب بمن يثق في إجابته وعطائه، كما يطمئن بالتضرع والتذلل لذي السلطان والجبروت إذا علم أن ذلك يؤمنه من بطشه وعقابه.

أما السعادة العظمى، واللذة الكبرى، والحلاوة التي ليس بعدها لذة ولا حلاوة، فهي لذة المحبة وحلاوتها، حينما تمتلك محبة الله تعالى على المرء قلبه وجوارحه فلا يرى إلا صورة الكريم الرحيم الحليم المنان واسع الفضل ذي الطول والإحسان، العفو الرءوف الغفور الشكور، الغفار الوهاب الرزاق الفتاح الودود المجيد، فيرى واسع رحمته وفضله ومنِّه وجوده وكرمه فيمتلئ قلبه محبة وشكرًا، فتتحرك الجوارح كلها بشكره سبحانه تبعًا لمحبة القلب وشكره.

وكذلك فإن صفات الشدّة والبطش والجبروت والعظمة لا تمنع من كمال المحبة بل تزيدها، فإن المرء لا يحب العاجز ولا الضعيف، وإذا كان إلهه الذي يعبده ويطيعه قادرًا قويًّا شديد البطش شديد العقاب، فإنه تكمل محبته له وثقته به، لأنه يعلم يقينًا أنه ناصره، ومنتقم له من عدوه، وأن من أحبه وتولاه فإن حزب الله هم الغالبون.

❁ كيف تزيد محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ؟

والسبيل لزيادة محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ هو بأن يتفكر العبد في صفات الله تعالى وما يعود عليه منها من الخير العظيم والنفع العميم فكل صفة تتفرع عنها نعم ومنن لا تعد ولا تحصى.

فليتفكر العبد في صفات: الرزاق والوهاب والفتاح والمعطي، وما يعود عليه

منها من النعم والخير والعطاء.

ويتفكر في صفات: الغفور الرحمن الرحيم العفو الرءوف الكريم الحليم الودود، وما يعود عليه منها من العفو والرحمة والكرم والجود والإنعام، ويتفكر كذلك في صفات: السميع العليم اللطيف الخبير الشهيد الحفيظ، وما يعود عليه منها من علمه بحاله وتدبيره لأمره وإصلاح شأنه دون جهد منه ولا سبب.

ويتفكر كذلك في صفات: العظيم المنتقم شديد العقاب القهار الجبار القوي المتين..إلخ، يتأمل ما فيها من نصرته إياه، وقهره لأعدائه، ونصره لأوليائه..إلخ .

فإنك إذا أحسنت إلى أحد الناس ثم أساء إليك يوشك ألا تحسن إلى أحد أبدًا لأنك إنما تنتظر الجزاء من الناس والناس لا يردون الإحسان بمثله، وإنما إذا كان إحسانك ابتغاء الأجر من الله تعالى فإنك تجد لذلك لذة وحلاوة في القلب، وطمأنينة في النفس وثقة بالأجر والنصر من الله تعالى، أنصفك الناس أو ظلموك، أعطوك أو منعوك.

ثانيًا: غلبة النظرة الإيمانية على القلب:

هذا هو السبب الثاني لحلاوة الإيمان وهو عكس ما ذكرناه من قبل من موانع وجود حلاوة الإيمان.

ثالثًا: كراهية المعاصي وعدم التعلق بها:

وذلك كما قال النبي ﷺ في هذا الحديث: "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

فالكراهية والبغض لشريعة الكفر وتقاليده وشُعَبه وهي المعاصي؛ لأن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر، فإذا كره المرء الكفر والفسوق والعصيان فقد اطمأن قلبه بالإيمان، فلا يكون مذبذبًا مائلاً إلى الفسوق والفجور راغبًا فيه متضررًا من منع الله تعالى إياه منه وتحريمه عليه، فتطمئن نفسه وتستقر وتهدأ وتنعم بطاعة

الله تعالى وتعلم أن الخير كله فيها.

وذلك؛ لأن التعلق بالمعاصي والرغبة فيها إنما يكدر القلب، ويعكر عليه لذة الإيمان وحلاوته؛ وذلك لأن القلب يظن أن نفعه وخيره في إصابة تلك المحرمات فلا يزال متعلقًا بها أسيرًا لهواه عبدًا لشهواته وأهوائه، قلقًا حائرًا بين إرضاء ربه وإرضاء شهواته.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فالعبد الحائر المتردد بين طاعة الله واتباع شهواته هو كذلك العبد الذي يتنازعه عدة شركاء متشاكسين لا يدري من يطيع منهم!!

أما الذي يطيع الله تعالى وحده فهو كالعبد الذي يملكه سيد واحد فيأتيه أمر واحد ونهي واحد فيتبعه بلا قلق ولا تردد.

فالمؤمن الحق الذي يجد حلاوة الإيمان هو الذي حبب الله تعالى إليه الإيمان والطاعة، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وقد وصف الله تعالى أولئك بأنهم هم الراشدون فقال سبحانه في صفة المؤمنين المتبعين للرسول ﷺ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[2].

❀❀❀

(١) الزمر: ٢٩.
(٢) الحجرات: ٧.

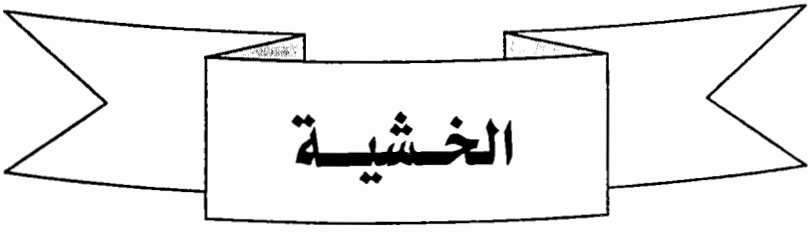

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

[الرحمن: ٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

فقد صرنا في زمان تلهى فيه الناس عن عبادة الديّان وأقبلوا على طاعة الشيطان، وزمان كثرت فيه الفتن والملهيات، ومالت فيه النفوس إلى الشهوات. فانشغل الناس بجمع الحُطام، ونسوا أنهم سيرجعون يومًا من الأيام، إلى المليك العلام. ومع ذلك فقد أمنوا مكر الله، ولم يخشوا عاقبة مكرهم، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، واتكلوا على عفو الله ونسوا عقوبته، وأمّلوا رحمته ولم يخشوا عذابه، واغتروا بحلمه وأمنوا نقمته.

إذا خوّفت أحدهم عاقبة سعيه، قال: إن الله غفور رحيم، وإذا حذرته مكر الله قال: إنه الكريم الحليم.

فليت شعري قد جمعوا إساءة وأمنًا: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾[1]!

***فوائد الخشية من الله:**

(١) حضور القلب وتهيؤه لطاعة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[2].

---

(١) الأعراف: ٩٩.

(٢) الأعلى: ١٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ﴾[١].

(٢) الخوف من الله عاصم من الذلل:

اعلم يا عبد الله أن ثمرة الخوف من الله أن يحجزك عن معصية الله، فيمتلئ قلبك مهابة منه، وإجلالاً لأمره، وحذرًا من عقوبته وبطشه.

فالخوف هو السوط الذي يلهب قلوب الصالحين إذا ما أصابتهم غفلة أو سِنة عن أمر الله، فيصيرون: ﴿إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

وفي الحديث: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"[٣].

فالمقصد من التخويف هو تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، وزجر النفوس عن شهواتها.

ولهذا تظهر البلاغة النبوية في دعاء الرسول ﷺ: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك،ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك"[٤].

فالنبي ﷺ لم يقل اللهم ارزقنا خشيتك أو الخوف منك...

وذلك، لأن الخوف والخشية غير مرادين لذاتهما، ولكنهما مرادان لكي يكونا سببًا زاجرًا عن المعاصي؛ لأن الخوف إذا زاد عن حده فإنه يؤدي إلى اليأس من رحمة الله، وهذا كفر، فينبغي أن يعتدل الخوف والرجاء، فالمقياس الذي يقاس به الخوف من الله تعالى، هو مدى الاستجابة لأوامره، وترك نواهيه، ولذلك كان السلف

---

(١) غافر: ١٣.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة (٢٤٥٢). وأدلج أي سار من أول الليل والمراد التشمير في الطاعة كما قال الإمام النووي في رياض الصالحين ح(٤١١).

(٤) الحديث أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب انظر صحيح الترمذي ح(٢٧٨٣).

يقولون: ليس الخوف من الله تعالى بكثرة البكاء وسكب العبرات، ولكنه بترك المناهي وتحصيل الطاعات.

فإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله تعالى فانظر أين أنت من المحافظة على الصلاة، وأدائها في أوقاتها، وتعظيم أمرها والخشوع فيها لله رب العالمين؟! فإنها من أعظم الأوامر، وأقرب القربات.

وإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله، فانظر أين أنت من الزكاة ومعرفة حقوق الفقراء والمساكين وذوي الحاجات؟

وإذا أردت أن تعرف مدى خوفك من الله، فانظر أين أنت من الحلال والحرام؟

أين أنت من ترك الربا؟

أين أنت من ترك الرشوة؟

أين أنت من ترك الخمر والمخدرات؟

أين أنت من ترك الكذب والغيبة والنميمة؟

أين أنت من تلاوة القرآن؟

أين أنت من صلة الأرحام؟

أين أنتِ أيتها المسلمة من العفة والطهارة والتزام الحجاب؟

أين أنتِ من ترك مخالطة الرجال، ومصافحة الأجانب؟

أين أنت من ترك سماع الغناء واللهو الصاد عن سبيل الله؟

بل أين أنت من إخلاص العمل لله، وترك الرياء؟

بل أين أنت من ترك العجب والغرور ومحبطات الأعمال؟

بل أين أنت من حقوق إخوانك المسلمين؟

بل أين أنت من ترك ما بينك وبينهم من تقاطع وتدابر؟

وهكذا اعرض نفسك على أوامر الله تعالى ونواهيه أمرًا أمرًا ونهيًا نهيًا، حتى تعلم مدى خوفك من الله تعالى حقًا.

فالخائف من الله تعالى هو الذي يراقب الله تعالى في كل حين فيحجزه ذلك عن مخالفة أمره، وارتكاب نهيه.

ولا يصدق خوفك من الله تعالى إلا إذا اتقيته حيثما كنت وحدك أو مع الناس، وعلمت في كل حال أن الله رقيب عليك.

قال ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"(١).

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يقول:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلـوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفـل سـاعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فالعبد لا غنى له عن الخوف من الله تعالى في حال من الأحوال، قال أبو سليمان: "ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب"، وقال إبراهيم بن شيبان: "إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها". وقال ذو النون:" الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف؛ فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق"(٢).

(٣) الخوف من الله سبب لنعمة الهداية والتوفيق:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ ملُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ ۞ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ الله لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ۞

(١) الحديث حسن رواه أحمد والترمذي والدارمي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.
(٢) انظر: تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص٢٧٠.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾.

فالخوف من الله تعالى نعمة عظيمة، وهو سبب هداية العبد وتوفيقه وسعادته في الدارين.

والمراد في الآية بقوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي أنعم عليهما بنعمة الخوف من الله، أو أنعم عليهما بالإيمان واليقين، أو أنعم عليهما بسبب خوفهما من الله بالتوفيق والهداية إلى قول الحق، وحض قومهما على القتال والاستجابة لأمر الله، وأيًا ما كان المراد، فالحاصل أن الخوف نعمة[2].

(٤) الخوف من الله يحقق الأمن والنصر والعزة في الدنيا:

إن الله تعالى يؤمِّنُ عبده في الدنيا أيضًا من عدوه، ومن كل ما سوى الله تعالى، إذا خاف الله تعالى في الدنيا.

انظر إلى نبي الله محمد ﷺ، كيف يأمره الله أن يتحدى قومه قائلاً: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[3]؟.

وانظر إلى نبي الله إبراهيم- عليه السلام - كيف أمنه الله من أعدائه، ونجاه من مكرهم، حينما وضعوه في النار، فقال الله تعالى لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[4]، ولما حاجه قومه وجادلوه في الله الحق، حاجهم أعظم المحاجة، متحديًا لهم آمنًا من مكرهم، لا يخاف ما يخوفونه به من آلهتهم الباطلة، فهو لا يخاف

---

(١) المائدة: ٢٠-٢٣.

(٢) انظر: تفسير السعدي، القرطبي، الشوكاني في هذه الآية.

(٣) الأعراف: ١٩٦.

(٤) الأنبياء: ٦٩.

إلا الله، ويعلم أن الله تعالى يؤمِّن عباده المؤمنين، ويحفظهم برعايته، قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ﴾[1].

فالمؤمنون الذين يخافون الله تعالى يؤمنهم الله تعالى في الدنيا والآخرة.

فيجعل لهم النصر والتمكين والعزة في الدنيا، ويجعل لهم الجنة والكرامة والرضوان في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[2].

(٥) ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾:

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله-: "يقول الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة :﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى﴾ ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما روى البخاري- رحمه الله-: عن عبدالله بن قيس عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن".

وقال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وفي قوله: ﴿مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من

(١) الأنعام: ٨٠-٨٢.

(٢) إبراهيم: ١٣-١٤.

وَرِق لأصحاب اليمين"[١].

(٦) الخوف من الله من سمات الأنبياء والصديقين والعلماء العاملين، وأولياء الله الصالحين:

اعلم -رحمك الله- أن الخوف من الله من سمات الناجين المقربين، فقد وصف الله تعالى به أنبياءه المرسلين، فقال تعالى بعدما ذكر جملة من أنبيائه ورسله في سورة الأنبياء؛ قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢].

فأخبر الله تعالى عن هؤلاء الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا -أنهم كانوا يدعون الله تعالى: ﴿رغبًا ورهبًا﴾ أي رغبة ورهبة، فأثبت لهم صفة الرهبة من الله تعالى وهي أشد الخوف[٣]. وأخبر رسول الله ﷺ عن نفسه فقال: «والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية له»[٤].

* ذكر خوف أصحابه رضي الله عنهم...[٥]

عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كان يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، وقال: يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل. وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر -رضي الله عنهم-، وكان عمر بن الخطاب ﷺ، يسمع آية فيمرض فيعاد أيامًا، وأخذ يومًا تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم

---

(١) «تفسير ابن كثير» [٣/ ٤٢١] ط. دار القرآن الكريم. بيروت.

(٢) الأنبياء: ٩٠.

(٣) انظر: «تهذيب مدارج السالكين» لابن القيم ص٢٧٢.

(٤) الحديث أخرجه البخاري [١٠/ ٤٣٧]، ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرًا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيبًا، فقال ﷺ: "ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه، وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية له".

(٥) هذا الجزء من خوف الصحابة والتابعين نقلناه عن «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة بتصرف يسير. ص٣١٣-٣١٤ تحقيق الأرناؤوط.

أكن شيئًا مذكورًا، يا ليت أمي لم تلدني، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء.

وقال عثمان ﷺ: وددت أني إذا مت لا أبعث.

وقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: وددت أني كنت كبشًا يذبحني أهلي فأكلوا لحمي، وحسوا مرقي.

وقال عمران بن حصين ﷺ: يا ليتني كنت رمادًا تذروه الرياح، وقال حذيفة ﷺ: وددت أن لي إنسانًا يكون في مالي ثم أغلق علي بابي، فلا يدخل علي أحد حتى ألحق بالله عز وجل وكان مجرى الدمع في خد ابن عباس ﷺ كالشراك البالي.

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: يا ليتني كنت نسيًا منسيًّا. وقال علي ﷺ: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب المعزي[1]، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا يتلون كتاب الله تعالى، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله عز وجل، مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

فنعوذ بالله من الغفلة، ونسأله سبحانه أن يقسم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه، ومن طاعته ما يدخلنا به جنته.

❀❀❀

(١) يقصد أثر مواضع السجود في جباههم.

﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال: ٢٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

الاستجابة لله تعالى ورسوله ﷺ هي أساس الدين، وهي الترجمة الحقيقية لمعنى الإسلام لله رب العالمين.

والحقيقة أن سبب جميع ما نحن فيه من الآفات والبلايا هو الإعراض عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ، وعدم الاستجابة لنداءاتهما المتكررة لنا بالإقبال على الله تعالى، هذا الإقبال الذي فيه سعادة الإنسان، وفيه حياته، وبدونه يكون في عداد الموتى.

لذا أحببت أن أسلط الضوء في هذه الوريقات على حاجتنا للاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ، وبيان معنى هذه الاستجابة، وفوائدها بالنسبة لنا، وكيفية تحقيقها.

والله من وراء القصد أسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستجيبون لله تعالى وللرسول ﷺ.

* معنى الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ:

الاستجابة: هي المسارعة بالإجابة لنداء الله تعالى، ونداء رسوله ﷺ إذا دعانا لما فيه حياتنا الحقيقية، وسعادتنا الدنيوية والأخروية.

قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها سمعك فإنها خير تؤمر به، أو شر تُنهى عنه.

والاستجابة لله تعالى بهذا المعنى هي تحقيق لمعنى الإسلام الحقيقي، فالإسلام في أدق معانيه هو الانقياد والإستسلام لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ. والاستجابة معناها الإقبال على الله تعالى بسماع أوامره، والرضا بها، والانقياد لها، والمسارعة إلى امتثالها.

وهي بهذا تشمل الاستجابة لله تعالى في دعوة عباده إلى عبادته وتوحيده، وتشمل الاستجابة لله تعالى في جميع أوامره من العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك، والاستجابة لله تعالى في معاملة الخلق بالعدل والإحسان كما أمر الله تعالى في كتابه، وأمر به رسول الله ﷺ في سنته.

وهكذا فالاستجابة لله تعالى لا تتجزأ، فلابد أن تكون استجابة شاملة للدين كله عبادة ومعاملة وخلقًا وسلوكًا في كل شيء.

فلا يليق بالمسلم أن يستجيب لله تعالى في الصلاة، ثم يعرض عن أمره في التعامل في ماله بما شرع الله، فلا يرابي ولا يغش ولا يرتشي ولا يأكل أموال الناس بالباطل..إلخ.

ولا يليق بالمسلمة أن تستجيب لله تعالى في الصلاة ثم تعرض عن أمره في الحجاب مثلاً فتخرج من بيتها سافرة عارية متبرجة متعطرة، أو تلبس ما تشاء من الثياب وتقول: إني محتشمة هكذا، أو ما كشفته من جسدي لا يضر، أو ليس عيبًا، أو إن الناس كلهم كذلك..إلخ. فالمؤمنة التي تستجيب لله تعالى حقًا ليس لها أن تعترض على أمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ أو أن تختار بينه وبين ما عليه الناس أو

---

(١) الأنفال: ٢٤.

المجتمع أو العادات والتقاليد ونحوها.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾[1].

فما دام المؤمن يؤمن بالكتاب كله، فلابد أن يستجيب لجميع ما في الكتاب كله، ولذا فإن الله تعالى يوبخ الذين يقبلون بعض أوامر الله تعالى، ويعرضون عن بعضها الآخر فيقول تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

ويقول عنهم أيضًا: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[3].

* فضل الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ:

الاستجابة لله تعالى تتحقق بها حياة الإنسان وكرامته وسعادته، فالحياة الحقيقية للإنسان لا تتحقق إلا باستجابته لله تعالى والتزامه بمنهجه، فهذه الاستجابة هي التي تحقق له آدميته وإنسانيته، ويرتفع بها عن حياة الشهوات البهيمية إلى حياة سامية تدرك أن للحياة أهدافًا وغايات أسمى من التلذذ بالطعام والشراب والشهوات الحسية.

إنها حياة لها غاية نبيلة هي تحقيق كرامة الإنسان بتحريره من الرقِّ والعبودية لجميع الكائنات المخلوقة، فالإنسان لا يليق به أن يكون أسيرًا لمخلوق مملوك مثله يعبده ويخضع له ويأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وإنما تتحقق كرامته وحريته وإنسانيته

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) النساء: ١٥٠-١٥١.

حينما يشعر أنه ليس لأحد فضل عليه ولا سيادة عليه ولا أمر ولا نهي ـ سوى ربه الذي خلقه فسواه فعدَّلَه في أي صورة ما شاء ركبه، فهو مالكه وخالقه ورازقه ومدبر أمره كله، وهو المتفرد وحده بالخلق والرزق والملك والتدبير لذا فلا يستحق أحد العبادة غيره سبحانه.

فالاستجابة لله تعالى إذًا تحقق الحياة الكريمة للإنسان وتحرره من العبودية لمخلوق مثله.

وهي بهذا تحقق للإنسان سعادته وخيره في الدنيا والآخرة.

والاستجابة لله تعالى هي التي تخلص الإنسان من الحيرة والتردد فهو لا يدري من يتبعه، ولا يجد من يثق به، ولكنه يثق بالله تعالى ويؤمن به ويتوكل عليه، ويعلم أنه لا يريد منه إلا ما فيه خيره وسعادته ونجاته في الدنيا والآخرة، لذا فهو يُقدم على أمره بلا حيرة ولا تردد.

*كيف تتحقق الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ؟

الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ لها شروط لابد من توافرها لكي تتحقق للعبد:

الشرط الأول: طرد الغفلة عنه قبل أن يستيقظ على أهوال الآخرة:

وحينئذ يقال له: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

فهذا العالم الذي نعيشه هو حقًّا عالم الغفلة كما هي تسمية الله له، ولا أظن أنه قد مرت بالناس غفلة بعد مبعث النبي ﷺ كهذه الغفلة التي يعيشها الناس في هذا الزمان، ولا أجد ناسًا أشبه غفلة بأهل هذا الزمان كأهل الجاهلية الأولى.[2]

---

(١) ق: ١٩.

(٢) بل إن أهل هذا الزمان قد عتوا وطغوا وأفسدوا أكثر من أهل الجاهلية الأولى، فالله تعالى قد نهى عن =

فالناس -إلا من رحم الله- أصبحوا يعيشون في غفلة عما خلقوا له، وعما هم صائرون إليه.

لقد غفلوا عن أنهم خلقوا لعبادة ربهم، لا لعبادة أهوائهم وأمزجتهم، والله تعالى يبين لهم ذلك فيقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] لقد غفلوا عن أنهم خلقوا للعمل للآخرة، لا من أجل العمل للدنيا، وغفلوا كذلك عن أنهم سُرعان ما يتركون منازلهم في هذه الدنيا، وينتقلون منها إلى منازل أخرى في جنة الخلد أو في نار الجحيم، والرسول ﷺ يوضح هذه الحقيقة ويصورها أحسن صورة فيقول: "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[2].

لقد غفل الناس عن كثير من الحقائق الثابتة في هذه الحياة، فنسوها في عالم الغفلة وفي ضجيج الحياة، ولكنهم مهما غفلوا عن هذه الحقائق فإنها ستظل -كذلك- حقائق ثابتة، رضوا بذلك أم أبوا، فإنهم مهما غفلوا عنها فلابد أن تفجأهم تلك الحقائق وتفجعهم يومًا ما.

والدليل على غفلة الناس أنه ما من حقيقة في هذا الكون أوضح ولا أبين من حقيقة الموت، ورغم ذلك فما غفل الناس عن شيء كما غفلوا عن تلك الحقيقة!

وصدق قول القائل: "ما رأيت حقًّا أشبه بباطل من الموت"، فالموت حق لا شك فيه، ولكن الناس أمامه كأنه باطل لا شك فيه.

ومهما حاد الإنسان عن هذه الحقيقة، ومهما جزع من ذكرها، ونفر من تذكر

التشبه بأهل الجاهلية الأولى فقال لنساء هذه الأمة: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣] ومعلوم لدى الجميع أن تبرج النساء اليوم قد فاق كل الجاهليات منذ أن خلق الله الأرض إلى أن يرثها.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (١/ ٣٩١) والترمذي (٢٤٩٦) وابن ماجه(٤١٠٩) وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة"(٤٣٩).

هولها فإنها آتية لا ريب فيها، كما أن الليل يعقبه النهار.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١].

❁علاج هذه الغفلة:

إن علاج هذه الغفلة في القرآن -لا شك في ذلك- فالله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

فمن لم ينفعه القرآن ويؤثر فيه وينال من قلبه فلا خير فيه، ولا رجاء في هدايته، فالله تعالى يقول: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

الشرط الثاني: التفكر والتذكر:

من الشروط اللازمة للاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ بعد تحقق الشرط السابق وهو طرد الغفلة ـ انشغال العبد بالتفكر والتذكر، فيتفكر في خلق الله تعالى له وقدرته عليه وعلى بعثه ومحاسبته ومجازاته على عمله إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

ويتذكر نعم الله تعالى عليه، فيحصل له من ذلك كله يقين بحاجته إلى الله تعالى فيقبل عليه ويستجيب لندائه، والله تعالى ينادي عباده: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٤].

---

(١) ق: ١٩

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) المرسلات: ٥٠.

(٤) الأنفال: ٢٤.

نحن في غفلة من هذا كله، وفي إعراض عن الآيات والنذر التي ينذرنا الله تعالى بها في كتابه وسنة رسوله ﷺ للاستعداد ليوم لقائه سبحانه، فهل من مستجيب لنداءاته سبحانه؟

هل من مشمر للعمل لذلك اليوم، وذلك اللقاء؟

طرد الغفلة، والتفكر والتذكر والتيقظ لأمر الله تعالى هي مفتاح الاستجابة لله تعالى. إذ لا استجابة لغافل ولا نائم، فلا يستجيب إلا المنتبه اليقظان فاليقظة اليقظة حتى نستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

ولا شيء يوقظ القلوب من غفلتها مثل تذكر الآخرة، فكن منها دائمًا على ذكر، عسى الله تعالى أن يلين قلوبنا لطاعته.

* المسارعة إلى الاستجابة لله تعالى قبل فوات الأوان:

إخوتي في الله إن من أهم أسباب تعجيل الاستجابة لله وللرسول ﷺ الخوف من فوات الأمر وعدم إدراكه وذلك لعدة أمور منها:

١- تحول القلوب.

٢- الخوف من سوء الخاتمة.

٣- مسابقة الموت.

أولاً: تحول القلوب:

يقول الله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

فالله تعالى يحذرنا من عدم المسارعة بالاستجابة لله وللرسول ﷺ؛ وذلك لأن

(١) الأنفال: ٢٤.

المرء قد يسوّف الاستجابة إلى حينٍ، ظنًّا منه أن يقدر عليها وقتما يريد، ولكن الله تعالى يخبرنا أنه سبحانه قد يحول بين المرء وقلبه، فقلبك بيد الله تعالى ليس بيدك، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى، إن شاء أقامها وثبتها، وإن شاء أزاغها وأضلها وأهلكها، ولا يظلم ربك أحدًا، فالقلب الذي يستجيب لله تعالى ويهتدي بهديه يزيده الله تعالى هدى ويثبته في طريق الإيمان والهداية، والقلب الذي يعرض ويتحول عن الهدى إلى الضلال يمد له الرحمن في الضلال مدًّا.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۞ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[1].

فالله تعالى يعرض الإيمان والهدى على القلوب، فمن استجاب زاده الله إيمانًا وتثبيتًا، ومن أعرض لم يأمن أن يقلب الله تعالى قلبه ويحول بينه وبين الهدى، فلا يقدر عليه بعد ذلك أبدًا إلا أن يشاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

ثانيًا: الخوف من سوء الخاتمة:

على العبد أن يسارع بالاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ قبل أن يفاجئه الموت وهو على حال لا ترضي الله تعالى، فَيَلْقَى الله تعالى متلبسًا بذنبه وجريمته، فبأي وجه يلقى الله تعالى وهو معرض عن أمره، مقبل على معصيته، مدبر عن طاعته؟

---

(١) مريم: ٧٥، ٧٦.

(٢) الأنعام: ١١٠.

ثالثًا: مسابقة الموت:

اعلم أخي المسلم! أختي المسلمة!

أن الموت لا ينتظر أحدًا، فالعبد إذا وافته منيته وجاءت ساعته، فلا يُؤخَّر عن لقاء ربه شيئًا :﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

فسارع أخي إلى الاستجابة لله تعالى قبل مفاجأة الموت، وقبل فوات الأوان.

* مسابقة الرحمن إلى نعيم الجنان:

أخي المسلم! أختي المسلمة!

هذا هو رب العزة جل وعلا يعلن عن مسابقة جائزتها جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

فهل من مشمر لها؟ وهل من عامل لها؟ وهل من مكتتب في هذه المسابقة؟

❁❁❁

(١) الأعراف: ٣٤.

(٢) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

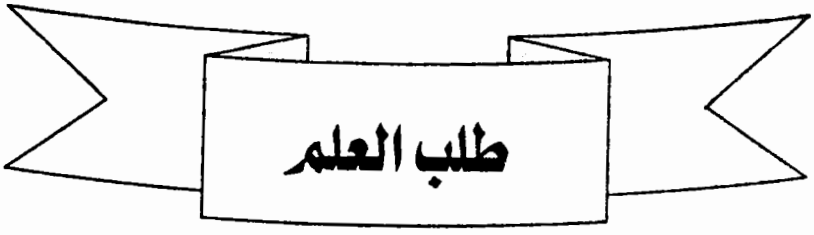

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الألبَابِ﴾

[الزمر: ٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

أخبر النبي ﷺ أنه يأتي زمان على الناس يفشو فيه الجهل ويقل فيه العلم، وتكثر تبعًا لذلك الفواحش والموبقات. وهذا الزمان ما نعيشه في هذه الأيام.

فقد قل العلم وفشا الجهل بين الناس حقيقة، فأصبحت تجد في شباب المسلمين من يجهل كيف يتطهر من الجنابة؟ بل فيهم من لا يعرف ما هي الجنابة؟ وفيهم أيضًا من لا يعرف كيفية الوضوء؟ فضلاً عن كيفية الصلاة.

وكثير من الشباب أو الرجال الكبار قد تحدثهم أنفسهم بالذهاب إلى الصلاة في المسجد ولكنهم يمتنعون خشية أن يضحك عليهم الناس إذا ما أخطئوا في أداء الصلاة أو ظهر جهلهم بها.

إنها آفة الآفات بلا شك، أن يجمع الناس بين الجهل بالدين والتكبر عن تعلمه؛ وإذا كان المسلم مطلوبًا منه أن يزكي نفسه، فإن هذه التزكية لا تكون حسب هوى كل شخص، أو دون اتباع لهدي النبي ﷺ.

فالمسلم مطالب أن يزكي نفسه على منهاج النبوة، وذلك بأن يتعلم العقيدة الصحيحة، ويتعلم العبادة الشرعية الصحيحة، ويتعلم المعاملات الشرعية الصحيحة، ويتعلم الأخلاق والآداب والسلوك مقتديًا في ذلك كله بالنبي ﷺ.

هذا بالنسبة لعموم المكلفين من المسلمين، فإذا أراد المسلم أن يتصدى للدعوة

إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أمر يجب على كل مسلم بحسب استطاعته كما أخبر بذلك النبي ﷺ إذا أراد أن يتصدى للدعوة أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر - فإنه لا يجوز له أن يمارس ذلك دون علم شرعي، أو قواعد شرعية ضابطة.

فالدعوة نفسها علم ولها أصول وقواعد، والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تكون إلا على بصيرة وعلم وبينة ومعرفة تامة بالحكم الشرعي لما يدعو إليه الداعي.

ولا يكفي أن يحسن الداعي بعض المواعظ والحكم ويحفظ بعض الآيات والأحاديث في الترغيب والترهيب والرقائق، ثم يتصدى لدعوة الناس وهو جاهل بأهم الأحكام التي لا ينبغي لمثله أن يجهلها، والتي ينبغي أن يعلمها ويُعلمها لعموم الناس: كمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة، وأحكام الطهارة والصلاة والعبادات المفروضة، ومعرفة الكبائر والفرائض، ومعرفة أهم المعاملات التي يحتاج إليها المسلم في حياته اليومية من بيع وشراء ونكاح وطلاق وغير ذلك.

فالدعوة الشرعية المتبعة لمنهاج النبوة هي الدعوة المؤسسة على العلم والتزكية والبصيرة التامة بالأحكام الشرعية، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1].

فهذه هي سبيل محمد ﷺ وسبيل من اتبعه.

*الدعوة إلى الله على بصيرة:

إن أي دعوة لكي يكتب لها النجاح لابد أن تكون مؤسسة على قواعد صحيحة من العلم الشرعي المنضبط بنور الوحي والنبوة.

ولقد كان سر نجاح الدعوة المحمدية وبلوغها المشارق والمغارب والآفاق

---

(١) يوسف: ١٠٨.

أنها تأسست على العلم من أول يوم حينما لقي النبي ﷺ جبريل ولقنه هذا الدرس الأول متمثلاً في هذه الآيات التي تحمل الدعوة إلى العلم والتعلم.

وهذا هو الدرس الأول بعدما حُبب إلى النبي ﷺ الخلاء في غار حراء يتحنث ويتطهر ويتعبد لله تعالى ويزكي نفسه.

فالدرس الأول للداعي هو: تزكية نفسه، ثم الدرس الثاني بعد التزكية مباشرة هو: القراءة والتعلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

* بيان شرف العلم وفضل أهله:

۞ العلم طريقك إلى الجنة:

العلم سبيل من السبل الموصلة إلى الجنة، فيروي مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة"[2].

۞ العلم سبب لنضارة الوجه:

عن عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع"[3] ومتى كانت الوجوه ناضرة كانت حَرِيَّة أن تكون إلى ربها ناظرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4].

---

(١) العلق: ١-٥.

(٢) مسلم (٢٦٩٩)، سنن الترمذي رقم (٢٦٤٦)، أبوداود رقم (٣٦٤٣)، سنن ابن ماجه رقم (٢٢٥).

(٣) صحيح: ابن ماجه (٢٣٢).

(٤) القيامة: ٢٢، ٢٣.

❁ العلم ميراث محمد ﷺ، وميراث الأنبياء من قبله:

روى الطبراني في معجمه بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا؟ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟! قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئًا يقسم. فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ[(١)].

ويروي أبو داود في سننه بسنده عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[(٢)].

روى الشيخان في صحيحيهما بسنديهما عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"[(٣)].

ويروي ابن ماجه في سننه بسنده عن أبي ذر-رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم بابًا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة"[(٤)].

❁ والآثار عن السلف في بيان فضل العلم وكريم منزلته أكثر من أن تحصر،

---

(١) نقلاً عن الترغيب والترهيب للمنذري ج١ ص(٦١)، الحديث الرابع والثلاثون وحسنه المنذري.

(٢) أبو داود رقم (٣٦٤١)، الترمذي رقم (٢٦٨٢)، ابن ماجه رقم (٢٢٣)، قال الحافظ ابن حجر: "له شواهد يتقوى بها"، الفتح ج١ ص(٢٥٢).

(٣) البخاري رقم(٧١)، مسلم ج٧ ص(١٢٨).

(٤) ابن ماجه رقم (٢١٩)، حسنه المنذري في الترغيب والترهيب.

وأشهر من أن تذكر، لكن نذكر منها طرفًا فما قل وكفى خير مما كثر وألهى(١):

١- عن علي - رضي الله عنه- قال: "كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه".

٢- عن معاذ -رضي الله عنه- قال: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة".

٣- عن وهب بن منبه قال: "يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيئًا، والعز وإن كان مهينًا، والقرب وإن كان قصيًّا، والغنى وإن كان فقيرًا، والنبل وإن كان حقيرًا، والمهابة وإن كان وضيعًا، والسلامة وإن كان سفيهًا".

٤- قال الشافعي -رحمه الله- : "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة".

٥- قال علي-رضي الله عنه-: "العالم أعظم أجرًا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله".

***مكانة العلماء عند الله:**

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

روى مسلم في صحيحه بسنده أن نافع بن الحارث لقي عمر بعُسفان وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد

---

(١) مقدمة المجموع ص (١٤، ١٦، ١٧، ٢٢).

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) الزمر: ٩.

قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين"[١].

ويروي الترمذي في سننه بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، ثم قال رسول الله ﷺ: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير"[٢].

ويروي أحمد في مسنده بسنده عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة"[٣].

***شهادة العلماء مقرونة بشهادة الله تعالى وشهادة الملائكة:**

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤].

*** العلماء هم الذين يخشون الله حق خشيته:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٥].

---

(١) مسلم ج٦، ص٩٨، ابن ماجه رقم (٢١٨).

(٢) الترمذي رقم (٢٦٨٥)، حكى الحافظ بن حجر في مختصر الترغيب والترهيب حديث رقم(٢٦) تصحيح الترمذي للحديث.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٥٧) وحسن بعضهم إسناده؛ لأن فيه رشدين بن سعيد، وانظر: الترغيب والترهيب للمنذري ج١ ص(٥٩) حديث (٢٤).

(٤) آل عمران: ١٨.

(٥) فاطر: ٢٨.

*** هلاك الناس بذهاب العلماء وهلاكهم:**

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[(١)].

وروى أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة قال: لما كان في حجة الوداع قال النبي ﷺ: "خذوا العلم قبل أن يقبض أو يرفع" فقال أعرابي: كيف يرفع؟ فقال: "ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته" ثلاث مرات[(٢)].

❁ أقوال السلف في بيان مناقب العلماء كثيرة متواترة نشير إلى بعضها منبهين بها على غيرها[(٣)]:

١- قال أبو مسلم الخولاني: "مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا".

٢- عن الفضيل قال: "عالم عامل بعلمه يُدعى كبيرًا في ملكوت السموات".

٣- قال الشافعي: "إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء لله فليس لله ولي".

٤- وقال أيضًا: "ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء".

٥- قال علي -رضي الله عنه-: "العالم أعظم أجرًا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله".

٦- قال سفيان بن عيينة: "أرفع الناس عند الله تعالى منزلة من كان بين الله

---

(١) البخاري رقم (١٠٠)، مسلم ج١٦ ص(٢٢٣-٢٢٤)، سنن الترمذي رقم (٢٦٥٢)، سنن ابن ماجه رقم (٥٢).

(٢) نقلاً عن فتح الباري ج١ ص(٢٩٨).

(٣) مقدمة المجموع ص (١٤، ١٦، ١٧، ٢٢).

وعباده، وهم الرسل والعلماء".

٧- قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "من آذى فقيهًا فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله تعالى".

٨- قال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر -رحمه الله-: "اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾".

٩- قال إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة: "أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد، فالعلماء دلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأهل الجهاد جاهدوا على ما جاءت به الرسل".

١٠- قال سهل التستري: "من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء، فاعرفوا لهم ذلك"[1].

❁❁❁

(١) أفدنا في كثير من النصوص المجموعة في الرسالة من رسالة (العلم) للأخ الفاضل الشيخ/ أحمد سيد هوّى حفظه الله.

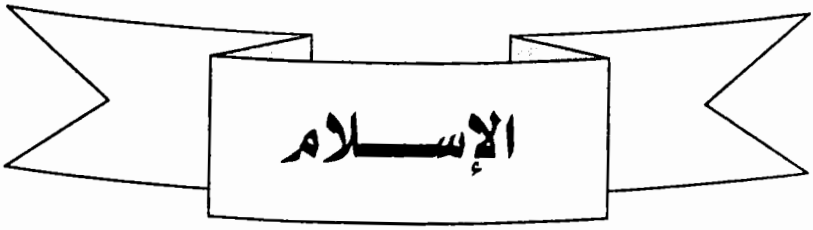

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ
وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾

[آل عمران: ١٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..

الإسلام معنى عظيم لم يقدره الناس حق قدره، ولكثرة ادعاء الناس له، وتسميتهم به، فقد ابتذلوا معناه وضيعوه، فالإسلام الحق لا يثبت لشخص ما لمجرد أن اسمه محمد أو أحمد أو محمود أو علي..إلخ، ولا يثبت لامرأة لمجرد أن اسمها فاطمة أو زينب أو عائشة أو خديجة..إلخ.

وكذلك لا يثبت لأحد لمجرد ادعائه أنه يعرف الله ويؤمن به ويؤمن بمحمد ﷺ ويشهد الشهادتين إذا لم يكن لذلك الادعاء وتلك الشهادة حقيقة باطنة في القلب، وحقيقة ظاهرة في الجوارح.

والحق أن المسلمين اليوم قد ابتعدوا كثيرًا عن معنى الإسلام وحقيقته، ابتعدوا عن ذلك بسلوكهم المخالف والمناقض لهذا المعنى العظيم السامي.

وإذا كان للإسلام معالم وأركان أساسية يعرفه الناس بها مثل: تحقيق التوحيد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، إذا كانت هذه هي معالم الإسلام وأركانه الأساسية؛ فإن هذه المعالم والأركان قد اهتزت وسقطت عند كثير من المسلمين في زماننا هذا.

فأصبحنا نجد من ينطق الشهادتين ويدعي أنه مسلم وهو واقع في صور كثيرة من صور الشرك المناقضة لمعنى الإسلام، مثل دعاء غير الله تعالى، والاستعانة والاستغاثة به، والتضرع واللجوء إليه، ومثل كراهية شرع الله تعالى والاستهزاء به، وادعاء أن شرع غيره من المخلوقين أفضل من شريعة الخالق.

هذا بالنسبة للتوحيد، وهو المنارة الأولى من منارات الإسلام ومعالمه.

أما بالنسبة لباقي معالم الإسلام، فلنأخذ مثلاً أعظم هذه الشعائر وأعلاها قدرًا عند الله تعالى وهي الصلاة.

ولنتأمل أحوال الناس إزاء هذه الفريضة العظيمة!

إن نحوًا من ٩٠٪ من المسلمين اليوم في المدن لا يؤدون الصلاة، حيث شغلتهم أمور الحياة ولهوها عن إقامة الصلاة.

والنسبة القليلة الباقية لا يحافظون عليها في الجماعة في المساجد، ومنهم من لا يؤدونها في أوقاتها.

وإذا نظرنا إلى فريضة الزكاة، فإن كثيرًا من أصحاب رءوس الأموال الطائلة لا يفكر في هذا الأمر أصلاً ولا يكاد يخطر له ببال. أما فريضة الحج فإن الأغنياء والقادرين على أدائها كثير منهم لا يقدم على أدائها إلا كما يقدم على نزهة أو رحلة أو سفر لتجارة أو صفقة بحيث يفتقد عملهم النية والاحتساب.

أما بالنسبة لفريضة الصيام فإنها وإن كان نسبة الملتزمين بالإمساك عن الطعام والشراب في نهار رمضان كبيرة نوعًا ما بالنسبة لأداء بقية الفرائض، فإن هناك أمرًا غائبًا وهو أن كثيرًا من هؤلاء الممسكين لا يكادون يعرفون حقيقة الصيام فهم لا يعرفون من الصيام إلا أنه إمساك عن الطعام والشراب في نهار رمضان.

أما حقيقة الصوم باعتباره مدرسة نتعلم فيها تقوى الله تعالى كما قال الله

تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]. فالحق أن تلك حقيقة غائبة عن كثير من المسلمين. والحق أن مرجع التقصير والتفريط في تلك الفرائض إنما يرجع في الأصل إلى جهل الناس في المقام الأول بحقيقة الإسلام ومعناه العظيم، وهذا ما يجدر بنا أن نوضحه في هذه الرسالة القصيرة.

* معنى الإسلام:

اعلم -رحمك الله تعالى- أن حقيقة الإسلام ومعناه أن تسلم قلبك لله تعالى، فالإسلام هو: الإخلاص والانقياد والاستسلام لله تعالى، يقال: أسلم الشيء أي أخلصه، وأسلم الرجل للرجل أي انقاد له، فالمسلم هو من أخلص العمل لله تعالى وانقاد لشرعه، ولذلك سمّى الله تعالى فعل إبراهيم وإسماعيل-عليهما الصلاة والسلام- إسلامًا لما استسلما لأمر الله تعالى بذبح إبراهيم لإسماعيل فعبر الله تعالى عن هذا الفعل بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[٢].

فسمى انقيادهما للأمر وطاعتهما له إسلامًا، فالإسلام هو الاستسلام الظاهر لأوامر الله تعالى ولا يكون مقبولاً عند الله تعالى إلا بالاستسلام الباطن وانقياد القلب وخضوعه وإذعانه لأوامر الله تعالى.

وأدنى حده المتفق عليه هو النطق بالشهادتين واجتناب الشرك في عبادة الله تعالى، وقبول ما جاء به الرسول ﷺ على الجملة وعلى الغيب.

واعلم أن الإسلام قد بني على خمسة أركان كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فقال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) الصافات: ١٠٣.

سبيلاً"[١]. فهذا هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلم أن الإسلام الحقيقي يستلزم الإيمان بالله تعالى:

وذلك لأن الأصل الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لا تقبل من قائلها حتى تكون موافقة لما في القلب من الإيمان الصادق، وإلا كان صاحبها منافقًا عند الله تعالى، وإن كان أمام الناس مسلمًا؛ لأن الله تعالى إنما ينظر لحقيقة ما في القلب.

وذلك كما قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم"[٢].

فلابد في الشهادة أن تكون مترجمة لما في القلب والضمير، لذا لابد من العلم بمعنى هذه الشهادة، وأنها تقتضي إفراد الله تعالى بجميع العبادات فلا يُدعى أحد غيره، ولا يستغاث بأحد سواه، ولا يطلب النفع، ولا كشف الضر إلا من الله تعالى وحده، ولا يعتقد أن أحدًا وليًّا كان أو نبيًّا يشفع له عند الله تعالى في قضاء حوائجه في الدنيا، وإنما الشفاعة تكون في الآخرة، فلا يجوز أن يلجأ في الدنيا إلى أحد غير الله تعالى ولا أن يتوجه إليه.

وإذا كان الإسلام معناه الاستسلام والانقياد والخضوع والإذعان فلا يصح إسلام العبد حتى يسلم لله في جميع أحكامه وتشريعاته، ويرضى بتلك الأحكام ويخضع لها.

وذلك كما قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

---

(١) حديث متفق عليه وأخرجه أيضًا أحمد والترمذي والنسائي، انظر صحيح الجامع للشيخ الألباني (٢٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في "البر والصلة" / باب: تحريم ظلم المسلم وخذله(٥/ ٤٢٨) ط. الشعب، وأحمد في "مسنده"(٢/ ٢٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١].

ولابد من القبول والانقياد والتسليم في جميع الأحكام، فلا يصح أن نقبل من الإسلام بعض أحكامه وندع بعضها الآخر، وإلا لحقنا هذا الذم والتوبيخ في قول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

فالإسلام كل متكامل لا يصح أن يقبل المرء بعضًا ويترك بعضًا، فمن قال: سأفعل كذا من الإسلام وأترك كذا، وهذا أحبه من الدين، وهذا لا أحبه فليسمع قول الحق تبارك وتعالى يحكم بنفسه في قائل ذلك يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٣].

نعم! من قال أقبل كذا من الإسلام، ولا أقبل كذا، فهو كافر؛ فالدين كل لا يتجزأ.

فلا يصح أن تقول: لا بأس أن أصلي وأصوم، ولكن لا أقبل أبدًا أن أغض البصر أو أن أترك الزنا أو كذا أو كذا..إلخ.

ولا يصح كذلك أن تقول المسلمة: أقبل الصلاة والصيام،ولكن لا أقبل الحجاب ولا أرتديه أبدًا..!

كلاَّ أخي المسلم، أختي المسلمة!

اقبلوا الإسلام كله، وارضوا بأحكامه كلها، فإذا قصرتم في شيء فاعلموا أن الله غفور رحيم فاستغفروه ثم توبوا إليه، ولا توطنوا أنفسكم على المخالفة ولا

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) النساء: ١٥٠-١٥١

تعزموا عليها، ولا تعلنوا لله تعالى خروجكم على شرعه، ولا كراهيتكم لشيء مما أنزل الله.

علينا أن نقبل أحكام الله تعالى مهما ظننا أنها شاقة على النفس، فالحق أن ذلك خداع من الشيطان وصد منه عن سبيل الله تعالى، فالله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وقد يبدو الأمر أو النهي شاقًّا، ولكن إذا وطّن المسلم نفسه على الالتزام بشرع الله تعالى فيه ورضي به؛ فإن الله تعالى ييسره عليه فيجد فيه لذته وسعادته، ويجد فيه حياة قلبه، ويذوق بسببه حلاوة الإيمان. ولنتأمل هذه الآيات الكريمة وهي خواتيم سورة البقرة: ﴿لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

لما نزلت الآية الأولى: ﴿لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ شقت على أصحاب النبي ﷺ، فقالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله حُملنا من الصلاة والصيام والجهاد ما نطيق، وحملنا اليوم ما لا نطيق، يقصدون هذه الآية لما فيها من حكم شديد، وهو أن الله تعالى يخبر أنه سيحاسبهم على ما في ضمائرهم. فغضب النبي ﷺ لذلك، وقال لهم:" أتقولون كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا". فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

(١) البقرة: ٢٨٤-٢٨٦.

وإليك المصير.

فلما أذعنوا لله تعالى في حكمه وانقادوا له كان هذا هو الإسلام الحقيقي الذي تتنزل بسببه رحمة الله فأنزل الله تعالى التخفيف عنهم، فأنزل: ﴿لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فأخبرهم أنه قد خفف عنهم فلن يحاسبهم إلا على ما كسبت أيديهم دون ما كان في نفوسهم وضمائرهم.

وكذلك لما استسلم إبراهيم عليه السلام هو وإسماعيل لأمر الله، وهو أمر عظيم لا يصبر عليه أحد، خفف الله تعالى عن هذين النبيين الكريمين وكافأهما على حسن إسلامهما وانقيادهما لأمر الله تعالى بإبقاء ذكرهما والثناء عليهما إلى يوم الدين، وأنزل من السماء كبشًا عظيمًا فداء لإسماعيل عليه السلام، وتخفيفًا عن أبيه إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فهذه هي حقيقة الإسلام: استسلام وانقياد لله تعالى.

ومن معاني الإسلام أيضًا: الإخلاص، يقال: أسلم الشيء وسلّمه أي أخلصه وطهره. وكذلك الإسلام هو إخلاص العمل لله تعالى وتطهيره من شوائب الشرك بغير الله تعالى. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ الله مَثَلا رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فالله تعالى يضرب مثلاً للعبد الذي تتنازعه الأهواء والشهوات والشياطين فهو مشتت، له آلهة متعددة، فمثله كمثل عبد يعمل عند أسياد شركاء متشاكسين في أخلاقهم، مختلفين في أقوالهم وأفعالهم، فكيف يكون حاله بينهم؟

ثم ضرب مثلاً للمسلم الذي لا يعبد إلا الله تعالى، ولا يستسلم ولا ينقاد

---

(١) الزمر: ٢٩

لأحد سواه، فمثله كمثل عبد يعمل عند سيد واحد، وهو سالم له خالص له.

ثم يسأل رب العزة- جل وعلا - عباده وهو أعلم: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا﴾؟ فيقول العباد: لا. فيقول سبحانه: ﴿الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ فيحمد الله تعالى نفسه أنه ما أمر عباده إلا بما يستحسنونه وترضاه نفوسهم وفطرهم وهو التوحيد، وإخلاص العمل والعبادة لإله واحد هو رب العالمين، خالق السموات والأرضين، والمنعم على عباده بسائر النعم والأفضال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله﴾[١].

إذا علم العبد ذلك، فليعلم أن الإيمان الباطن لا يستقيم إلا بعمل ظاهر، وأعظم أعمال الإسلام على الإطلاق هي الصلاة، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

قال رسول الله ﷺ: "بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٢].

وكذلك الصوم والزكاة والحج هي بقية الأركان وبها يستقيم البناء وتثبت دعائمه.

قال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"[٣].

فالنبي ﷺ يشبه الإسلام ببناء يقوم على عمود هو شهادة التوحيد وأربعة

---

(١) النحل: ٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في "الإيمان" / باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة(١/ ٢٦٦) ط. الشعب من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في "الإيمان" / باب: قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس(٨). مسلم في "الإيمان"، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام(١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أركان، وهذه الأركان الأربعة هي: الصلاة والصيام والزكاة والحج، فمن ترك واحدة منها فقد هدم ركنًا من أركان الدين، فيوشك أن يختل بناؤه، فإذا ترك ركنًا آخر أو ثالثًا أوشك أن يقع البيت ويسقط سريعًا لا محالة، ولا يقوم البيت على عمود واحد دون أركان.

فاحرص أخي المسلم، وأختي المسلمة على أركان الإسلام ومعالمه حتى لا يضعف إسلامك وينهدم فتبقى بعده كالأرض الخراب.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا، وأن يجنبنا محبطات الأعمال، إنه سبحانه مولى ذلك وهو القادر عليه.

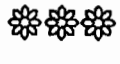

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾

[الزمر:٦٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

حينما نتحدث إلى أحد المسلمين في أمر تحقيق التوحيد فإنه قد يستغرب ذلك الحديث ويتعجب له، ويتساءل أولسنا موحدين؟!

أولسنا نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؟!

ففيم الحديث عن التوحيد إذًا؟!

والحق أن هناك فرقًا بين الإقرار بالإسلام، والإقرار بالتوحيد على الجملة، وبين الالتزام العملي بالإسلام، والالتزام بالتوحيد تفصيلًا وتطبيقًا.

ومن هنا فإن حديثنا هنا إنما هو عن كيفية تحقيق التوحيد وتطبيقه في حياتنا.

كيف نكون موحدين حقًّا؟!

كيف ننجو من الشرك كله دقه وجله؟

لقد كان النبي ﷺ يحذّر الشرك على أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم- وكان يخافه عليهم خوفًا شديدًا، ويحذرهم من الوقوع فيه.

فقد روي عنه ﷺ أنه قال: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...".

وقد كان الصحابة والسلف جميعًا -رضوان الله عليهم- يخشون على أنفسهم

الوقوع في الشرك.

ولخطورة أمر الشرك وخفائه ودقته، فإن الله تعالى حذر منه نبيه ﷺ وأوحى إليه في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[١].

وقد بين النبي ﷺ أن أساس العلاقة بين العبد وربه وأساس فلاحه ونجاحه إنما هو تحقيق التوحيد.

فعن معاذ -رضي الله عنه- قال: كنتُ رديف رسول الله ﷺ على حمار، ليس بيني وبينه إلا مُؤخرة الرحل، فقال: "يا معاذ! هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئًا" فقلت: يا رسول الله! أفلا أُبشر به الناس؟ قال: "لا تُبشرهم فيتكلوا""[٢].

في هذا الحديث الجليل يبين النبي ﷺ العلاقة بين العبد وربه سبحانه، وما لله تعالى من حق على عباده وما للعباد من حق على الله إذا عبدوه ووحدوه فضلاً منه سبحانه وكرمًا.

كما يبين أهمية التوحيد وفضله وعظم الأجر والجزاء عليه من الله سبحانه وتعالى.

فبين أن العلاقة بين العبد وربه تقوم على العبودية الحقة لله رب العالمين وعدم الإشراك به. والعبادة هي طاعة الله تعالى وامتثال أوامره في كل شيء سواء ما تعلق منها بالعبادات المحضة: كالصلاة والصيام، أو ما تعلق منها بالمعاملات: كالبيع والشراء والنكاح والطلاق، فحق الله تعالى في كل ذلك أن يطاع أمره ويجتنب نهيه،

---

(١) الزمر:٦٥-٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب "الجهاد"، باب: اسم الفرس والحمار(٢٨٥٦)، ومسلم في "كتاب الإيمان"، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا(٣٠).

كما أن على العبد إذا التزم بالعبادة لله تعالى أن يلتزم بتوحيده سبحانه فلا يشرك به شيئًا بتقديم شيء من العبادة لغيره سبحانه، فالدعاء عبادة لله فلا يجوز أن يدعو العبد غير الله تعالى، وكذلك الاستغاثة والتضرع عبادات لا تجوز إلا لله تعالى، والذبح أو النحر عبادة لا تجوز إلا لله تعالى، فلا يجوز أن يدعو العبد وليًّا من الأولياء من دون الله تعالى، ولا أن يستغيث به أو يتضرع إليه ليجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا، ولا يجوز له أن يقدم له شيئًا من النسك كأن يذبح له أو على اسمه أو يطوف حول بيته، أو يحلق رأسه لأجله على نحو ما يفعل الحجيج في حجهم لبيت الله تعالى.

وكما يبين النبي ﷺ عظم أمر التوحيد وأهميته فإنه يبين عظم فضله وأجره، فقد جعل الله تعالى لمن جاء بالتوحيد حقًّا ألا يعذبه شيئًا، ولعظم هذا الأجر خشي النبي ﷺ إن أخبر بذلك عموم أمته أن يتكلوا على ذلك ويتركوا العمل بطاعة الله تعالى فيكون ذلك سببًا في هلاكهم.

ومما يبين فضل التوحيد وأهميته كذلك هذا الحديث الذي يبين أن تحقيق التوحيد هو سبب نجاة العبد يوم القيامة مهما عظمت ذنوبه.

فعن جابر -رضي الله عنه- قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال:يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[1].

ولكن يبقى مدار الأمر هنا على إجابة هذا السؤال، وهو: كيف نحقق التوحيد؟

فالتوحيد ليس مجرد النطق بكلمة لا إله إلا الله؛ فهذه الكلمة العظيمة لها شروط ثقيلة قد بينها العلماء:

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣).

قال الشيخ حافظ أحمد الحكمي -رحمه الله- عن شروط هذه الكلمة:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما أحبه

فلابد من العلم بمعنى هذه الكلمة واليقين بها وبما تقتضيه، والقبول لأحكامها والانقياد لشرائع الإسلام، والصدق فيها مع الله تعالى والإخلاص والمحبة لله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين.

فتعال أخي الحبيب!

نتعرف على معنى هذه الكلمة العظيمة وما تقتضيه من ترك الشرك كله، وتوحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته على الوجه الأكمل.

❁ فهذه الكلمة (لا إله إلا الله) شقان:

الشق الأول: (لا إله) إبطال للشرك، ونفي لجميع الشركاء مع الله تعالى.

والشق الثاني: (إلا الله) فيه إثبات العبودية والوحدانية لله تعالى وحده.

فتعال نتعرف في هذه الصفحات على معاني هذه الكلمة العظيمة، لعل الله تعالى أن يجعلنا ممن يحققون معناها ويعملون بمقتضاها، آمين آمين.

❁الشرك بالله:

اعلم يا عبدالله أن أكبر الكبائر وأعظمها خطرًا هو الشرك بالله، أعاذنا الله وإياك من قليله وكثيره، ودقه وجله، وذلك أنه يمنع العبد دخول الجنة، ويوجب عليه دخول النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[١].

وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٢].

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[٣].

فاعلم -رحمك الله- أن توحيد الله تعالى هو أول الواجبات على العبد، فإنك إذا ما عرفت الله تعالى بصفاته وأسمائه الحسنى فإن الواجب عليك هو توحيده في ذاته وفي صفاته وأفعاله، بأن تعتقد أن الله تعالى له الوحدانية التامة في ذاته وصفاته وأفعاله، فالله تعالى لا يشبهه أحد في ذاته ولا في أفعاله ولا في شيء من صفاته سبحانه.

فمن توحيده في ذاته سبحانه أن تعتقد أنه سبحانه واحد أحد فرد صمد ليس مركبًا مع غيره كما يعتقد النصارى الضالون، فهم كفار مشركون لاعتقادهم أن عيسى ابن الله أو أنه هو الله، ولجعلهم إياه سبحانه أبًا لعيسى إذ يقولون في تراتيلهم: "بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين" فيجعلون الثلاثة إلهًا واحدًا، وقد حكى القرآن كلامهم وكفرهم به فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[٤]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٥].

وقال أيضا: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ

---

(١) المائدة:٧٢.
(٢) الحج:٣١.
(٣) أخرجه مسلم (٩٣).
(٤) المائدة:٧٣.
(٥) المائدة:٧٢.

ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وشبيه بقولهم أو هو أغلظ منه في الكفر قول من يعتقد أن الله يحل في أحد من خلقه نبي أو ولي أو غير ذلك فكل ذلك عين الشرك والضلال، وكذلك قول من يعتقد أن الرسول محمدًا ﷺ مخلوق من نور الله؛ وذلك لأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد، وليس له صاحبة ولا ولد، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

أما توحيده في صفاته سبحانه فهو بأن يعتقد أنه سبحانه هو وحده المتصف بما وصف به نفسه لا يشاركه في ذلك أحد في الحقيقة، فالله سبحانه هو الخالق وحده، هو الرازق وحده، هو مالك الملك وحده لا يشاركه في ذلك أحد، وقد يتصف المخلوق ببعض ما وصف الله تعالى به نفسه، ولكن لا يشابهه في صفاته سبحانه أحد من خلقه.

فالله تعالى هو الحي السميع البصير العليم، والمخلوق يوصف بأنه حي سميع بصير عليم.

ولكن صفات الله تعالى لا يشابهه فيها أحد، فليست حياة الله تعالى كحياة المخلوقين، وليس سمعه وبصره كسمعهم وأبصارهم، وليس علمه كعلمهم، فالعبد وإن اتصف بالحياة فحياته ليست دائمة وليست أزلية فهو مخلوق بعد أن لم يكن وهو ميت، والله تعالى حي لا يموت أبدًا، هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، فشتان بين حياة المخلوق وحياة الخالق.

وكذلك سمع العبد وبصره محدود لا يسمع كل شيء ولا يبصر كل شيء، والله سبحانه لا يغيب عنه شيء ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، مطلع على كل شيء لا تخفى عليه خافية.

---

(١) التوبة: ٣٠.

وكذلك قد يتصف بعض الناس بالعلم وأنه عالم ولكنه لا يعلم كل شيء، بل يعلم القليل ويخفى عليه الكثير، وما علم الناس جميعًا في علم الله إلا كما أخذ طائر من البحر بمنقاره.

وقد يدعي بعض الناس كالكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين وغيرهم أنه يعلم الغيب ولكن المؤمن يعتقد أنه لا يعلم الغيب حقيقة إلا الله تعالى.

فالله سبحانه هو: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1].

فإذا اعتقدت أن الله تعالى هو الفاعل وحده، وأنه سبحانه هو النافع والضار وحده، وأنه سبحانه الرازق وحده والشافي وحده لا شفاء إلا شفاؤه، وأنه هو سبحانه مدبر الأمر وحده، لا يملك أحد معه من الأمر شيئًا ـ إذا اعتقدت ذلك فقد وجب عليك ألا تأتي ساحرًا تعتقد أن بيده نفعًا لك أو ضرًّا لأحد من خلق الله تعالى، بل لابد أن تعتقد أن الساحر لا يؤثر في الشيء بنفسه ولا بسحره ولا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، وقد قال الله تعالى في كتابه عن السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[2].

فاعلم يا عبدالله، أن الذهاب إلى السحرة من أكبر الكبائر، هذا لمن يعلم أن الساحر لا يملك شيئًا وأنه لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، فمن اعتقد أن السحر مؤثر بنفسه، وأن الساحر قادر بنفسه على فعل ما يريد بغير إذن الله ـ فقد كفر وأشرك بالله العظيم كفرًا أكبر يخرجه من ملة الإسلام؛ لأنه قد نسب بعض صفات الله تعالى لغير الله.

فإذا علم العبد ذلك وجب عليه ألا يصدق كاهنًا أو عرافًا ممن يضرب الحصى أو ينظر في النجوم أو غير ذلك ممن يدعون علم الغيب، وليعلم أن الغيب لا يعلمه

---

(١) الجن: ٢٦-٢٧.
(٢) البقرة: ١٠٢.

إلا الله.

* وجوب توحيده في عبادته سبحانه:

إذا علم العبد أن الله تعالى هو الخالق وحده، وهو مدبر الأمر وحده، وهو الرازق وحده، فليعلم أنه يجب عليه أن يعبده وحده، وألا يشرك به في عبادته شيئًا، وهذا هو توحيد العبادة وهو التوحيد الحق الفاصل بين الموحدين والمشركين، فإن المشركين في زمان النبي ﷺ كانوا يقرون لله تعالى بوحدانيته في صفاته، ولكن كانوا يشركون في عبادته، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾[١].

وقال أيضا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٢].

وكانوا يقولون في سبب عبادتهم للأصنام التي هي تماثيل وصور للأولياء والصالحين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾[٣]. أي قربى وواسطة.

فكَفَّرَهُم الله بذلك، وحكم على قولهم بأنه كفر وكذب وضلال فقال: ﴿إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٤].

فالمشركون كانوا مقرين بأن الله تعالى هو الخالق والرازق ومدبر الأمر ومالكه وحده، ومع ذلك كانوا يدعون الأولياء والصالحين متوجهين إلى صورهم وتماثيلهم، ليقربوهم إلى الله وليستشفعوا بهم عند الله في قضاء حوائجهم، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ الله بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

---

(١) الزخرف:٩.
(٢) الزخرف:٨٧.
(٣) الزمر:٣.
(٤) الزمر:٣.

يُشْرِكُونَ﴾[1].

والعبادة تشمل جميع ما شرعه الله تعالى لعباده ليتقربوا به إليه من الدعاء والذكر والاستغفار والصلاة والصيام والزكاة والحج والطواف والنذر وتلاوة القرآن.. إلى آخر ما شرعه الله تعالى لعباده، فكل ذلك وغيره من العبادات التي لا يجوز أن يصرفها العبد لغير الله تعالى.

❁❁❁

(١) يونس:١٨.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[آل عمران: ٣١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

الاتباع: هو أحد شرطي قبول العمل، فهو الشرط الثاني بعد الإخلاص، فالأعمال لا تقبل عند الله تعالى إلا إذا توفر لها شرطان أساسيان هما: الإخلاص فيها لله رب العالمين، واتباع الرسول ﷺ فيما شرع.

هذان أصلان مستقران في الشريعة، والأدلة متضافرة على صحتهما.

وقد فصلنا الكلام فيما قبل في الشرط الأول، وهو الإخلاص وبقي تفصيل الكلام في الشرط الثاني وهو الاتباع.

***حاجة الأمة إلى معرفة هذا الأصل وتعلمه:**

ومما يدل على عظم الحاجة إلى تعلم هذا الأصل أن أكثر المسلمين المتدينين اليوم صاروا يهونون من شأن هذا الأصل، ويقللون من أهميته وضرورته.

والدليل على ذلك أنك ترى أكثر المتدينين قد يعبدون الله تعالى بجهل، فيأتون بكثير من البدع في عبادتهم لله تعالى، فمنهم من يصلي صلاة غير صحيحة أو يأتي في عبادته ببعض البدع التي لا أصل لها في الدين مثل الالتزام بما لم يلتزمه النبي ﷺ من العبادات المبتدعة من قبل مشايخهم ورؤسائهم، ثم إذا نصحت أحدهم قال لك: المهم هو القلب، المهم هو الإخلاص والنية وليس العمل.

وقد ذكر أمثال هؤلاء عند بعض السلف فقالوا: إن قومًا تركوا اتباع النبي

ﷺ وزعموا حسن نيتهم، وصلاح قلوبهم، وكذبوا لو أحسنوا النية لأحسنوا العمل.

وهذا صحيح لاشك فيه فالدليل الوحيد على حسن نيتك ومحبتك لله تعالى وإخلاصك له هو اتباع رسوله ﷺ واتباع المنهج الذي أنزله الله على رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وقال الحسن البصري-رحمه الله- في هذه الآية: "إن قومًا ادعوا محبة الله تعالى فابتلاهم الله بهذه الآية" فمن كان يحب الله تعالى حقًّا، وهو حسن النية مخلصًا في محبته واتباعه فليتبع رسوله محمدًا ﷺ الذي جاء بالهدى ودين الحق.

لقد فرط الناس في زماننا هذا في هذا الأصل تفريطًا عجيبًا، وصرنا نرى العجب في ذلك.

فالناس إزاء هذا الأصل صنفان:

الصِّنف الأول: تركَ اتباع الرسول ﷺ بالكلية، وأعرض عن الدين إعراضًا تامًّا، رغم أنه لا يزال يزعم أنه مسلم، وهذا الصنف تتناقض أقواله مع أفعاله، فتراه منغمسًا إلى أذنيه في الذنوب والمعاصي، معرضًا تمام الإعراض عن الدين، ثم يزعم بعد ذلك أن بينه وبين الله عمارًا وصلاحًا.

وهؤلاء يلبسون على الناس ليبرروا ما هم فيه من التناقض الواضح، حتى لقد سمعنا أن بعض الراقصات العاهرات تتكلم في الدين وتذم الفنانات التائبات والمتحجبات عمومًا، وتقول: ليس الدين في الحجاب، وليس الدين في المظهر، إنما الدين في القلب، ثم تفلسف قضية الحجاب لتلغي الالتزام الظاهر به، فتقول: وليس الحجاب في هذا المظهر الخارجي، إنما الحجاب في القلب!!

---

(١) آل عمران: ٣١.

وصدقت والله، فإن الحجاب الحقيقي هو حجاب القلب فمن حجب الله تعالى قلبه عن الهدى فلن يستطيع أحد أن يهديه أبدًا.

من غرق في المعاصي والشهوات وأعجبه ما هو فيه من الفجور والملذات طبع على قلبه، وصار على قلبه حجاب كثيف من المعاصي والشهوات يحول بينه وبين الاهتداء إلى الحق ورؤية النور.

فلا تنخدعي أيتها الأخت المسلمة بتلك الشعارات الزائفة التي يرسلها هؤلاء الغارقون في بحار الشهوات لكي يخدعوا الناس عما هم فيه من الرذيلة.

ولقد لعبت وسائل الإعلام دورًا كبيرًا في جعل الناس يتعاطفون مع الراقصات والعاهرات والزانيات بتصويرهن ضحايا المجتمع وأنهن في الحقيقة أصحاب قلوب عطوفة رحيمة فتصور لنا الأفلام العربية أن تلك الراقصات لم تلجأ إلى العهر والفجور إلا لمداواة أمها المريضة، أو لمعالجة طفلتها من العمى، أو لإنقاذ حياة أبيها... أو... أو... إلخ.

وكذلك هذا السارق وهذا القاتل لم يسرق ولم يقتل إلا لهدف إنساني نبيل.

ولكن الإسلام لا يعرف تلك القاعدة الميكافيلية القائلة بأن: (الغاية تبرر الوسيلة) وإنما يقرر الإسلام أن الغايات النبيلة تتخذ لأجلها الوسائل النبيلة الشريفة. وإلا لغرق المجتمع كله في بحار الرذيلة، وهو يزعم أنه إنما يريد الفضيلة والطهر والعفاف، إن هذا يبرئ الإسلام أصحابه وأتباعه منه حيثما يشترط هذين الشرطين الأساسين، وهما: صلاح النية، وصلاح العمل.

فالنية الصالحة ليست مبررًا للعمل الفاسد، بل لابد لصاحبها أن يسلك السبل الشرعية لتحقيقها، والسبل الشرعية هي سبيل واحد، هو: اتباع الشرع الحنيف.. اتباع ما جاء به الرسول ﷺ.

ضيع الناس هذا الأصل، فصرت ترى الرجل يتعامل بالربا، ويأكل الرشوة، ويزعم أنه حسن النية، وترى الرجل يسرق ويزعم أنه حسن النية، بل ترى الرجل

يقتل ويزعم أنه حسن النية، وترى الرجل لا يركع ولا يسجد ولا يعرف طريق المسجد ويزعم أن بينه وبين الله عمارًا وصلاحًا.

وترى الفتاة تخرج من بيتها سافرة عارية متبرجة متعطرة، وتزعم أن قلبها طاهر وأنها تتقي الله تعالى، وتصاحب صديقًا لها وتخالطه وتخلو به، وتزعم أن نيتها سليمة وأنها تتقي الله تعالى.

وهكذا ضيع الناس هذا الأصل، فضيعوا الدين بينهم.

الصنف الثاني: هم المتدينون الذين يزعمون أنهم يقيمون الدين، وأن بينهم وبين الله تعالى علاقة حقيقية قائمة على العبادة والذكر، فالحق أن أكثر هؤلاء من الصوفية الدراويش وأتباعهم ممن لا يلتزمون في الغالب بسنة النبي ﷺ وبالضوابط الشرعية، بقدر ما يطيعون مشايخهم ورؤساءهم.

فهم يأتون بكثير من البدع والخرافات والدجل والشعوذة كالتمسح بالأضرحة والطواف حولها والإقامة بأماكن قبور الأولياء وإقامة الموالد بها، والإقامة في تلك الساحات أيامًا تشبهًا بالحجيج، ويفعلون ما يفعله الحجاج من الطواف والسعي والذبح والنذر والحلق والتقصير، فضلاً عن التضرع لهؤلاء المشايخ والأولياء ودعائهم من دون الله تعالى والاستغاثة بهم؛ فهذا يطلب منهم الشفاء، وهذا يطلب النجاح، وهذا يطلب الزواج من فلانة، وهذه تطلب عروسًا، وهذه تطلب من السادة الأولياء أن يردوا إليها زوجها، وأن يطلقوه من زوجته الأخرى، وهذه تطلب منهم أن يهبوا لها حملاً، أو شفاءً أو مالاً.. أو.. أو.. إلى آخر ما عليه الناس من الجهل والضلالات.

وسبب ذلك كله هو عدم اتباع ما عليه الرسول ﷺ والإعراض عن الدين، واتباع ما عليه المشايخ وأهل الطرق في باطلهم دون تمحيص وبحث وسؤال عن الدين الصحيح ثم ترى أكثر هؤلاء يصلي صلاة غير صحيحة فلا يحسن الوضوء والطهور، ولا يحسن الركوع ولا السجود، ولا يحفظ الأذكار الصحيحة، وكثير منهم من لا يحفظ فاتحة الكتاب، أو لا يصحح نطقها.

فإذا نصحت أحدهم فقلت له: نهى رسول الله ﷺ أن تنقر الصلاة كنقر الديكة، أو أن تلتفت فيها التفات الثعلب، أو أن تبرك فيها بروك البعير، أو أن تقعي فيه إقعاء الكلب، وإذا أخذت عليه مثلاً أنه لا يقيم صلبه بعد الركوع ولا يعتدل من قيامه كما ينبغي، أو لا يقيم صلبه بعد السجود ولا يعتدل كما ينبغي أو أنه لا يخشع في ركوعه أو سجوده، أو غير ذلك.. فإذا به يصيح بك مغضبًا مكفهر الوجه لا يقبل اتباع الرسول ﷺ فيما نصحته به، ويقول:بل نتبع ما عليه مشايخنا ورؤساؤنا، وكأن هذه الآيات إنما نزلت فيهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَـهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَـهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾(٢).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(٣).

لابد إذًا أن نتدارك أنفسنا ونتدارك أهلينا وإخواننا، وأمتنا، قبل أن يحيق بهم عذاب أليم. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤). وقد نزل بالأمة ما حذر منه الله تعالى، وحذر منه النبي ﷺ، فوقعت الفتنة، ونزل بهم العذاب الأليم.

نعم وقعت الفتنة! وأي فتنة أعظم من الاختلاف والتقاطع والتدابر بين طوائف الأمة؟!

---

(١) البقرة: ١٧٠.
(٢) المائدة: ١٠٤.
(٣) لقمان: ٢١.
(٤) النور: ٦٣.

وأي فتنة أعظم من وقوع الشرك في الأمة؟!

معنى الاتباع: هو اتباع الشرع الحنيف، وذلك باتباع كتاب الله تعالى، واقتفاء سنة النبي ﷺ والاقتداء به في جميع أقواله وأفعاله، واتباع أهل العلم العارفين به والمتبعين هدي النبي ﷺ إلى يوم القيامة.

* لمن يكون الاتباع؟

الاتباع يكون للنبي ﷺ فيما جاء به من الكتاب والسنة، ويكون لأصحابه المبلغين لسنته المتبعين لها، أما التابعون من بعد الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم فلا يتبعون إلا فيما وافقوا فيه الدليل من الكتاب والسنة أو اتباع ما كان عليه النبي ﷺ.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير"(١).

* الأدلة على وجوب الاتباع لكتاب الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾(٣).

❁ والأحاديث الدالة على وجوب اتباع النبي ﷺ في كل شيء كثيرة منها:

قوله ﷺ: "كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد"(٤).

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٢/ ١٠).

(٢) القيامة: ١٨.

(٣) محمد: ٣.

(٤) أخرجه بنحوه الدارقطني في "سننه" (٤/ ٢٧).

وقوله ﷺ: "من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد"[١].

أي كل عمل يعمله الإنسان مما يبتغي به وجه الله تعالى، ولا يتبع فيه هدي النبي ﷺ أو يحدث فيه ما لم يكن عليه النبي ﷺ فعمله هذا مردود عليه غير مقبول عند الله تعالى.

*الأدلة على وجوب اتباع أصحاب النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَـهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[٢].

فهذه الآية من أعظم الآيات الدالة على اتباع أصحاب النبي ﷺ حيث أثنى الله تعالى على الذين اتبعوهم بإحسان ورضي عن جميعهم وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم.

*الأدلة على وجوب اتباع أهل العلم:

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

فأوجب الله تعالى علينا سؤال أهل العلم فيما جهلنا حكمه، شريطة أن يكون هؤلاء العلماء حسني السيرة، معروفًا عنهم اتباع النبي ﷺ ولزوم منهجه، وهؤلاء هم الموصوفون بأنهم من أهل العلم الذين يخشون الله تعالى حق خشيته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ الله عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

---

(١) أخرجه البخاري(٢٦٩٧)، ومسلم(٤/ ٣١٢) ط. الشعب

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الأنبياء: ٧.

(٤) فاطر: ٢٨.

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾[1].

وأولو الأمر هم:أهل العلم لا محالة، ومن قال:إنهم الأمراء، أو أهل الحل والعقد، فلا يعارض اتباع أهل العلم؛ وذلك لأن الأمراء لا طاعة لهم إذا خالفوا ما أمر به الله ورسوله ﷺ، أو خالفوا ما عليه أهل العلم الثقات.

***ثمرة الاتباع وفوائده:**

الاتباع الصحيح لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ له ثمار عظيمة، وفوائد عميمة أخبر عنها الله تعالى في كتابه منها:

١- محبة الله تعالى للعبد:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

فمن أراد محبة الله تعالى له، فليسارع إلى اتباع حبيبه محمد ﷺ ،فهل هناك ثمرة أو فائدة للاتباع أعظم من محبة الله تعالى؟!

٢- مغفرة الذنوب:

وذلك واضح من الآية السابقة، حيث وعد الله تعالى من يتبع حبيبه ﷺ بجائزتين:

الأولى: محبة الله تعالى، والثانية: مغفرة الذنوب.

٣- الوقاية من عذاب الجحيم.

٤- دخول جنات النعيم.

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ٣١.

والدليل على هاتين الفائدتين قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

٥- صلاح البال، وقرة العين، والسعادة في الدارين.

وبعد أخي الحبيب!

أختي الحبيبة!

ما أحوجنا إلى اتباع نبينا ﷺ في جميع أمورنا والاقتداء به في جميع فعالنا، ففي ذلك النجاة كل النجاة والمخرج مما نحن فيه من الفتن.

نسأل الله تعالى أن يحشرنا وإياكم مع محمد وصحبه، وتحت لواء صاحب الشفاعة والمقام المحمود، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

❁❁❁

(١) غافر: ٧، ٨

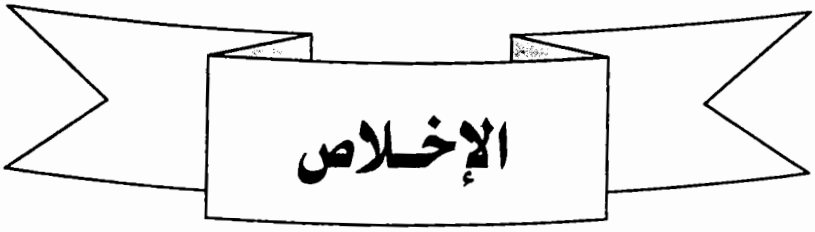

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

[البينة:٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..

إن من أهم الأمور التي يقوم عليها إيمان المؤمن وتوحيده لله تعالى هو أمر تحقيق الإخلاص.

وذلك أن العلماء متفقون على أن العمل لا يقبل من العبد إلا بشرطين مهمين:

الأول: الإخلاص في العمل لله رب العالمين [١].

الثاني: اتباع النبي ﷺ والتزام سنته في هذا العمل [٢].

وسوف نتحدث في هذه الرسالة الصغيرة عن هذا الشرط الأول، وهو تحقيق

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حفناء﴾ البينة: ٥، وقوله تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصًا له الدين ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر:٣, ٢] ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» أخرجه البخاري في «بدء الوحي» (١)، ومسلم في «الإمارة»، (١٩٠٧).

(٢) لقوله تعالى: ﴿قل إن تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ آل عمران:٣١ وقوله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ الحشر:٧.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

الإخلاص لله رب العالمين.

وهذا الأمر عسير ليس باليسير، ويحتاج إلى مجاهدة للنفس، وتدريب لها على تحقيقه حتى تعتاده وتلتزم به.

وقد كان هذا الأمر هو الشغل الشاغل لسلفنا الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ، ولذلك فقد فازوا برضوان الله تعالى؛ حيث كافأهم على ذلك بخير جزاء؛ وذلك بالذكر الحسن والثناء الجميل الباقي لهم إلى يوم القيامة؛ وذلك أن الجزاء من جنس العمل؛ فإنهم لما أخلصوا قصدهم في أعمالهم، وجعلوها خالصة لله تعالى لا يرجون بها ذكرًا ولا ثناء. كافأهم الله تعالى بأن أحبهم ووضع لهم القبول في قلوب عباده فأحبوهم وأثنوا عليهم جميلهم وحسن صنيعهم إلى يوم الدين.

وهذه صفحات قليلة نحاول أن نحقق فيها هذا الخلق العظيم لعل الله تعالى أن يجعلنا من المخلصين.

*كيف نحقق الإخلاص؟

بيّنا أن الإخلاص أمر عسير ليس من السهل القيام به وتحقيقه، فقد كان السلف يقولون: ما عالجنا شيئًا أشدَّ علينا من الإخلاص وإصلاح النية.

وقد تفكرت مليًّا في كيفية تحصيله والتخلص من ضده وهو الرياء؛ فتبين لي أن مما يحقق للمرء إخلاص النية أن ينظر أولاً إلى ما افترضه الله تعالى عليه وما استحب له فعله، وما أعد له على هذا العمل من الأجر والكرامة في الدنيا والآخرة، فتَرقى نفسه لطلب ذلك، فإذا توجه لفعله لمجرد ذلك دونما نظر إلى غيره من المصالح والمنافع العاجلة فقد بلغ حقيقة الإخلاص، ووقف على بابها.

لأنه إذا تفكر في ثواب العمل، فتطلعت نفسه إليه ورغبت فيه؛ فإنه يُقدِم على هذا العمل رغبة في ثواب الله تعالى، فيكون له بذلك نية صالحة يثيبه الله عليها،

ويتقبل عمله بها؛ لأن النبي ﷺ قال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[١].

ومما يتم به إخلاص المرء، أن ينظر العبد إلى ما قدمه الله تعالى فيقدمه وإن كان هواه في غيره، وإلى ما أخره الله تعالى فيؤخره وإن كان هواه في تقديمه.

ولذا فقد وجب على العبد أن يعرف ما أوجبه الله عليه وما استحبه له، ثم يعرف كذلك ترتيب هذه التكاليف عند الله تعالى، أيها أحبّ إليه سبحانه، وأوجب لديه، وأعظم في الأجر والفضل، فيعمد إلى ترتيب ما أوجبه الله عليه من الحقوق والواجبات حسب الأوجب فالأوجب، ثم يرتب سائر المستحبات التي تستحب له كذلك حسب الأحب فالأحب لله تعالى.

فإذا فعل ذلك واتجه إليه بعزم صادق فثمة حقيقة الإخلاص.

وإذا تفكر العبد فيما أوجبه الله عليه من الحقوق والواجبات حسب الأوجب فالأوجب لعلم أن **أول واجب عليه هو**: تحقيق إخلاص القلب لله في التوجه إليه بسائر الأعمال؛ إذ ليس على العبد تكليف يجب عليه لله تعالى قبل ذلك، فكان حَريًّا أن ننشغل أولاً بتحقيقه، والاجتهاد في تمحيص القلب له، فإن وفقنا الله لذلك، فيكفي بعد ذلك أقل القليل من العمل؛ لأنه يقع حينئذ موافقا لطلبه سبحانه، حائزًا بالقبول، مباركًا برضوان من الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

فضرب الله تعالى مثلاً لمن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله تعالى، كيف يضاعف الله تعالى له الأجر أضعافًا كثيرة، فمثله كمثل جنة بربوة أي: بمكان عالٍ من

---

(١) متفق عليه.

(٢) البقرة:٢٦٥.

الأرض يصيبها مطر غزير فتأتي بثمار مضاعفة، وإن أصابها اليسير من المطر فإنه يكفيها لإخراج خيرها وكنوزها، وكذلك المخلص يكفيه القليل من العمل فالله ﷻ إذا قبل من العبد شيئًا، ادخره له إلى يوم الحساب وثمّره له وبارك له فيه، فإن تصدق بصدقة يسيرة قد أخلص فيها له سبحانه، وابتغى بها وجهه، فلا يزال ينميها له سبحانه كما يربي أحدكم فلوه أي: مُهره الصغير وهو ولد الفرس، حتى تصير أعظم من الجبل، فيضعها سبحانه في ميزان حسناته فيثقل بها عمله، فيدخله بها الجنة، كما صح الحديث بذلك عن النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم**»[١]

وكذا إذا تكلم بكلمة صغيرة لا يلقي لها بالاً لكنه يبتغي بها وجه الله تعالى، فإنها تقع من رضوان الله تعالى، فيدخل بها الجنة، كما صح الحديث بذلك عنه ﷺ.

فإذا أخلص العبد لله تعالى أجره الله تعالى في كل شيء حتى اللقمة يضعها في فيّ امرأته يبتغي بذلك وجه الله[٢]، وحتى إتيانه لأهله[٣]، وغشيانه لهم يبتغي بذلك ما أمره الله به من تحصين نفسه وإعفافها، وكذلك عمله وسعيه على معاشه ابتغاء القوت والكفاف لنفسه وأهله محتسبًا في ذلك، ممتثلاً تكليف الله تعالى إياه بذلك، فإنه يؤجر على ذلك كله ويبارك الله تعالى له في قليله في الدنيا والآخرة، فيجعل له بذلك كرامة الدارين، والرفعة والمنزلة في الأولى والآخرة.

فالعبد إذا ما أخلص لله تعالى، ولم يعمل لطلب الجاه والرفعة في الدنيا كافأه

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب: حفظ اللسان (٦٤٧٨).

(٢) ثبت ذلك في حديث سعد بن أبي وقاص ، أخرجه البخاري في الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير (٢٧٤٢) وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في الوصية، باب: الوصية بالثلث (١٦٢٨).

(٣) ثبت ذلك في حديث أخرجه مسلم في "الزكاة" (١٠٠٦).

الله على إخلاصه له فجمع له خير الدارين وكرامتيهما.

ثانيًا: تخليص القلب من سائر الآفات التي تحول بينه وبين العمل لله تعالى، وكذلك تزكية النفس وتطهيرها وتخليتها وتحليتها وإصلاح خللها، ومدار ذلك كله على إصلاح القلب أولاً، وتخليصه من أمراضه وآفاته، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، كما صح الحديث بذلك عنه ﷺ.

والحق أن القلب إذا ما حقق منزلة الإخلاص السابق ذكرها فإنها تخلص القلب لا محالة من كثير من آفاته وأمراضه.

فالإخلاص لا يبلغ تمامه إذا كان بالقلب آفة من الآفات، أو مرض من الأمراض صغر أو كبر.

فلا يتم إخلاص العبد مع شيء من الشح، أو الحسد، أو الحقد والغل، أو التعلق بالمعصية وعدم التوبة والإنابة إلى الله، أو اليأس من رحمته، أو عدم رجائه أو نقصان الرجاء فيه، أو ابتغاء العزة ممن سواه، أو عدم خوفه، أو الاستغناء عن فضله، أو غير ذلك من الآفات؛ كالكبر والعجب والمن والفخر وغير ذلك، فمن تأمل ذلك كله وأمعن النظر فيه، وقاسه بحقيقة الإخلاص علم أنه مما ينافي تمام الإخلاص، ويحول دون كماله.

هذا واعلم أن انشغال العبد بتزكية نفسه وإصلاحها أولاً، لا يعني ترك ما علم أن الله تعالى قد افترضه عليه بحجة انشغاله بإصلاح نفسه، فإن هذا أمر لا تدرك نهايته، وليس لإصلاح النفس حد يصلح الوقوف عنده ظنًّا أنها قد زكت وصلحت، بل لا يجوز ذلك أبدًا للعبد؛ لأنه منهي عن تزكية نفسه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1] بل عليه دائمًا أن يتهمها ويعتقد نقصانها وتقصيرها عما كلفت به.

وهذا الأمر ليس له غاية أو حد يحسن أو يجوز الوقوف عنده؛ لذا لم يجز أن

---

(١) النجم:٣٢.

يترك المرء العمل بحجة انشغاله بإصلاح نفسه، بل يعمل ما كلف به على أحسن حال ينتهي إليه من إصلاح نفسه.

*صلاح الباطن ملازم لصلاح الظاهر:

ومما يغفل عنه كثير من الناس، ويخطئون في تصوره أن يعتقدوا أن إصلاح النفس وتزكيتها إنما يكون بعيدًا عن العمل والواقع وميدان المنازلة، فهيهات هيهات أن تَزْكو نفوس هؤلاء، أو تصلح بغير ممارسة حقة.

*قد يحتاج الإنسان إلى وقفة يحاسب فيها نفسه:

نعم، قد تكون النفس بحاجة إلى خلوة تلم فيه شعثها، ويحاسب فيها المرء نفسه على تقصيرها، ويحصي ما سقط منه في زحام الأحداث، ويؤدب نفسه على تقصيرها وجنوحها وتمردها على الطاعة والإخلاص؛ فإن مثل هذا التأديب والتهذيب لا يصلح في غمرة الأحداث ولا أمام الناس، بل لابد أن يخلو بها محاسبًا ومؤدبًا، كالمؤدب الناصح يخلو بمن يؤدبه وينصحه سرًّا، أو يزجره فيما بينه وبينه، ويشتد عليه إن علم أن ذلك أنفع له.

ولكن هذه الخلوة لا تأتي في الحقيقة بثمرتها ما لم تتمرن النفس بعد ذلك بالنزول إلى ميدان الواقع شيئًا فشيئًا، تكرّ ثم ترجع، تنظر في عملك وتحاسب نفسك على تقصيرها وتتابعها في تمرنها وتدربها على مزاولة الأعمال وفق قواعد الإخلاص والإحسان.

ولذا فلا ينبغي أن تطول خلوة النفس وعزلتها، بل الأنفع لتلك النفس ألا تكون لها خلوة واحدة، بل تكون لها خلوات كثيرة بين الحين والحين يحاسب نفسه على تقصيرها، يعمل ثم يخلو، ثم يعمل ثم يخلو، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "خذوا بحظكم من العزلة"[1].

---

(١) رواه وكيع في كتاب "الزهد"(٣٦)، باب: من كان يحب الخلوة، برقم(٢٥٣)، (٢/ ٥١٧) وابن =

وقال مسروق -رحمه الله-: "إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه، فيستغفر منها"[1].

نعم، فهي ليست خلوة واحدة، ولا مجلسًا واحدًا، بل هي خلوات ومجالس، فلابد من خلوة المحاسبة بعد كل أمر.

ولابد من خلوة قبل العمل للتدبر وإصلاح النية في الأمر المقدم عليه، وذلك كمثل التاجر تمامًا يخلو بنفسه قبل شرائه السلعة، لينظر ويتأمل مدى رواجها في سوق التجارة وجلبها للربح، ثم يتأمل بعد بيعه إياها، كم ربح فيها؟ وكم خسر؟ وكم باع منها؟ وكم بقي؟ وهكذا.

وقد ذكر الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وكذا ابن قدامة في "مختصر منهاج القاصدين" بابًا نافعًا في:(دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه)، فذكر في طريقة معالجته مقامين، فقال: وفي معالجته مقامان:

أحدهما: في قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.

والثاني: في دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول: اعلم أن أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي: حب لذة الحمد، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس.

ويشهد لذلك ما في "الصحيحين" من حديث أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية،

سعد في الطبقات(٤/ ١٦١) من حديث ابن عبدالله، وابن المبارك في "الزهد"(٣)، وابن أبي عاصم في "الزهد"(٣٧) وغيرهم وفي إسناده انقطاع، وقال الشيخ سلمان العودة في كتاب "العزلة": وله شواهد من قول عمر وأبي الدرداء وغيرهما.

(١) رواه الإمام أحمد في "الزهد" (٣٤٩-٣٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٤٠٣)، والدارمي (١/ ٧٩)، وأبو نعيم في "الحلية"(٢/ ٩٧).

ويقاتل رياء، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"[١].

فمعنى قوله: يقاتل شجاعة، أي: ليذكر ويحمد، ومعنى قوله: يقاتل حمية أي: يأنف أن يقهر أو يذم، ومعنى: يقاتل رياء، أي: ليرى مكانه، وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب.

وقد لا يشتهي الإنسان الحمد، ولكنه يحذر من الذم، كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفر لئلا يذم. وقد يفتي الإنسان بغير علم حذرًا من الذم بالجهل، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك إلى الرياء.

وعلاجه أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه إذا ظن أنه خير له ونافع، إما في الحال أو المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ضارٌّ في المآل، سهل عليه اجتنابه وقطع عنه الرغبة، كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكن إذا بان له أن فيه سمًّا، أعرض عنه، فكذلك طريق هذه الرغبة أن تعلم ما فيها من المضرة، فإن الإنسان متى عرف مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه، ومن المنزلة في الآخرة، وما يتعرض له من العذاب والمقت والخزي، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنَّ رضي الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق، ومن طلب رضاهم في سخط الله، سخط الله عليه وأسخطهم عليه. ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله له لأجل مدحهم؟ ولا يزيد مدحهم رزقًا ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته.

وكذلك ذمهم، لم يَحذر منه؟! ولا يضره ذمهم شيئًا، ولا يعجل أجله، ولا يؤخر رزقه، فإن العباد كلهم عجزة، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فإذا قرر هذا في نفسه فترت رغبته في الرياء، وأقبل على الله تعالى بقلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يضره ويقل نفعه.

---

(١) البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

وأما الطمع فيما في أيدي الناس، فيزيله بأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنه لا رازق سواه، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد، لم يخل من المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد؟!

ومن الدواء النافع أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش، فإنه لا دواء في الرياء مثل إخفاء الأعمال، وذلك يشق في بداية المجاهدة، فإذا صبر عليه مدة بالتكلف، سقط عنه ثقله وأمده الله بالعون، فعلى العبد المجاهدة، ومن الله التوفيق.

المقام الثاني: في دفع العارض من الرياء أثناء العبادة، وذلك لابد من تعلمه أيضًا، فإن من جاهد نفسه، وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة، وإسقاط نفسه من أعين الناس، واحتقار مدحهم وذمهم، فإن الشيطان لا يتركه في أثناء العبادة، بل يعارضه بخطرات الرياء، فإذا خطر له معرفة الخلق بعبادته واطلاعهم عليها، دفع ذلك بأن يقول: ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالك؟ فأي فائدة في علم غيره؟

فإن هاجت الرغبة إلى آفة الحمد، ذكرها آفات الرياء والتعرض للمقت، فيقابل تلك الرغبة بكراهة المقت، فإن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة، ومعرفة آفة الرياء تثير كراهة"[1].

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في جميع أقوالنا وأفعالنا، وأن يجعلها ابتغاء وجهه الكريم.. آمين.

❁❁❁

(١) ابن قدامة. مختصر منهاج القاصدين ص (٢٢١).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا

أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ

وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا﴾

[الأحزاب: ٣٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد،،

* وجوب الإيمان بالله تعالى وبصفاته:

اعلم -رحمك الله- أنك إذا ما عرفت الله تعالى ورسوله ﷺ ورضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولاً ﷺ فقد وجب عليك الإيمان ـ وهو التصديق الجازم الذي يتبعه الانقياد التام بالقلب والجوارح -بكل ما أخبر الله تعالى من أمور الغيب التي أخبر الله بها في كتابه، أو أخبر بها رسوله ﷺ فيما أوحى ربه إليه.

فمن ذلك الإيمان بالله تعالى وبكل ما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ عن ربه من صفات ربنا تبارك وتعالى فتصفه بكل صفات الجلال والكمال، وتنزهه عن كل نقص وعيب.

* وجوب الإيمان بالملائكة وأنواعهم:

وتؤمن بملائكته سبحانه على اختلاف أنواعهم، ووظائفهم، فمنهم الملائكة التي تنزلت بوحي الله تعالى وكلامه إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم، ومنهم الموكلون بأرزاق العباد، ومنهم الموكلون بقبض أرواحهم، ومنه الموكلون بتصريف الرياح والأمطار، ومنهم الموكلون بتسجيل أعمال العباد وأقوالهم وجميع حركاتهم، ومنهم الموكلون بحفظ الإنسان، ومنهم المسخرون لعبادة الله تعالى، فليس في السماء موضع

أربعة أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو راكع يسبح بحمد الله تعالى، ومنهم الملائكة الكروبيون يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا، يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

فهؤلاء وغيرهم مسخرون في عبادة الله تعالى وتسبيحه وتحميده: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[2].

ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار، وزبانية العذاب، وغير ذلك.

فإذا علم العبد ذلك، أورثه الحياء من ملائكة الرحمن، والحذر مما يسجلون عليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

* وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله:

وعلى العبد كذلك أن يؤمن بكتب الله تعالى المنزلة على رسله -صلوات الله تعالى وسلامه عليهم- فيؤمن بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام والزبور الذي

(١) غافر: ٧-٩.

(٢) الأنبياء: ٢٠.

(٣) ق: ١٦-١٨.

(٤) الانفطار: ٩-١٢.

أوتيه داود عليه السلام والصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام[١] والقرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ معجزة النبي ﷺ الخالدة، تحدى الله تعالى به العرب والناس كافة إلى يوم القيامة أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، ولا يزال عجزهم ظاهرًا ولن يزول إلى يوم القيامة، ما ترك الله فيه شيئًا إلا وأنزل فيه ذكرًا، وشرع فيه حكمًا، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

بين الله تعالى فيه ما يجب على العبد نحو ربه، وما يجب على الناس في جميع مجالات حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغير ذلك، وعالج كل قضايا النفس الإنسانية، والغريزة البشرية، وبَيَّنَ كيف يكون صلاح هذه النفس وكيف يكون علاجها من أمراضها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾؟![٣].

كما يؤمن المسلم كذلك أن القرآن كلام الله، وأنه هو الكتاب الناسخ لما سبق من الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٤].

❁وجوب الإيمان برسل الله تعالى جميعًا:

ويجب على العبد كذلك أن يؤمن برسل الله تعالى جميعًا من أول آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فيؤمن بالأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه.

---

(١) من المعلوم أن القرآن قد نسخ هذه الكتب، فهي وإن كانت حقًّا من عند الله، إلا أن الله تعالى قد نسخها بالقرآن، كما ينبغي أن يعلم أن أغلب ما في هذه الكتب قد دخله التحريف والتبديل، فليس الموجود منها الآن ممثلاً لتلك الكتب المنزلة من عند الله، فالمؤمن إنما يؤمن بما جاء في تلك الكتب قبل دخول التحريف والتغيير عليها، فالتوراة والإنجيل اللذان أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام ليسا هما ما يعرف الآن بالكتاب المقدس، فتسميته بالكتاب المحرف والمدلس أحرى وأدق.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الملك: ١٤.

(٤) المائدة: ٤٨.

ويؤمن بأن لله تعالى أنبياء ورسلاً غير هؤلاء المذكورين يعلمهم الله تعالى كما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۞ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

فالله تعالى قد أرسل رسله ليذكروا العباد بما أودعهم الله تعالى في عقولهم وفطرتهم من وجوب عبادته وحده وعدم الإشراك به، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وكما جاء في الحديث عن رب العزة- جل وعلا-: "إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم"[3].

واعلم أن أفضل الرسل وأكرمهم على الله هم أولو العزم منهم، وهم المذكورون في القرآن، وأولهم محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام.

فالمسلم يؤمن بجميع الرسل ما سمع عنهم وما لم يسمع، ويؤمن بأنهم قد بلّغوا ما أرسلهم الله تعالى به؛ لأن من صفات الرسل الواجبة لهم: "الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة" فلا يجوز عليهم أن يكتموا شيئًا مما أرسلهم الله تعالى به، وببعثة النبي ﷺ وتبليغه إيانا شرع ربنا تم الدين وكمل، فمن زاد عليه شيئًا فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه، يقول رسول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما

---

(١) النساء: ١٦٤، ١٦٥.

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة: تلبيس إبليس ص٢٤

ليس منه فهو رد"[١] ويقول: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[٢].

* وجوب الإيمان بأن دين الأنبياء واحد:

ويؤمن المسلم كذلك بأن دين الأنبياء جميعًا واحد، فقد دعوا جميعًا إلى عقيدة واحدة، وإن اختلفت شرائعهم، أي: الأحكام التي كلف الله تعالى بها عباده، فهذه تختلف من شريعة لأخرى، أما العقيدة فهي شيء واحد لا يتغير، وهي الإسلام والانقياد والإخلاص لله رب العالمين وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[٣].

وقال أيضًا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[٤].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٥].

وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٦].

وعنه ﷺ: "نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات[٧] ديننا واحد وأمهاتنا شتى"[٨].

فالمسلم يؤمن بجميع رسل الله تعالى، ولا يفرق بين أحد منهم، كما قال تعالى:

---

(١) صحيح الجامع (٥٩٧٠) وهو في الصحيحين وغيرهما.

(٢) صحيح الجامع: (٦٣٩٨)، وعزاه إلى مسلم وأحمد.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) الأنبياء: ٢٥.

(٦) النحل: ٣٦.

(٧) أبناء العلات: هم أبناء الرجل الواحد من عدة أزواج.

(٨) زاد المسير ٢/ ٣٧٣

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[١].

* وجوب الإيمان باليوم الآخر:

والمسلم يؤمن كذلك باليوم الآخر بكل ما فيه، ويؤمن أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وأن فيه نعيمًا وعذابًا.

وأن سؤال القبر حق فإن العبد كما قال النبي ﷺ: "... إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل -محمد ﷺ-؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله. فيُقال: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة"، قال النبي ﷺ:" فيراهما جميعًا، ويفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون، وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري: كنت أقول ما يقول الناس. فيُقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه"[٢].

كما نؤمن كذلك بأن الأرواح تصعد إلى بارئها، فأما أرواح المؤمنين، فتفتح لها أبواب السموات، حتى تلقى ربها، وأنها تكون في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتعلق بأشجار الجنة، وأن أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل معلقة تحت عرش الرحمن، وذلك إلى حين يبعث الله الأرواح في الأجساد.

أما أرواح الكافرين والمنافقين فترد إلى الأرض في أسفل سافلين، كما أخبر ربنا في كتابه حيث قال: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) صحيح الجامع: (١٦٧٥) وهو متفق عليه، وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة ١٣٤٤.

الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[١]. أي حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة.

* وجوب الإيمان بالساعة وأشراطها:

والمسلم يؤمن كذلك بالساعة، أماراتها وأهوالها، وبالبعث وبالنشور، بالأجساد والأرواح، وما يحدث في مواقف القيامة.

فهو يؤمن بالصراط والميزان والعرض على الله، واستلام صحف أعماله، ويؤمن بالشفاعة، ويؤمن بالجنة والنار وغير ذلك مما وردت به الأخبار.

* الإيمان بالقدر:

هذا ومما ينبغي على المؤمن كذلك أن يعلمه، أن يعلم أنه لا يتم إيمانه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ويعلم أن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢]. فكل شيء مخلوق بقدر الله تعالى حتى العجز والكيس كما جاء في الحديث.

واعلم أن معنى الإيمان بالقدر: أن تؤمن أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا قبل خلقه له.

كما تؤمن بأن الله تعالى قد كتب مقادير كل شيء، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء"[٣].

كما أخبر ﷺ كذلك وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله

---

(١) الأعراف: ٤٠.

(٢) القمر: ٤٩.

(٣) صحيح الجامع (٤٤٧٤) وعزاه إلى مسلم.

وشقي أو سعيد"[١].

كما أن الإيمان بالقدر يقتضي كذلك أن تؤمن بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢]. فما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن.

❁❁❁

(١) صحيح الجامع بنحوه (١٥٤٣) وهو حديث متفق عليه رواه أصحاب الكتب الستة.
(٢) يس: ٨٢.

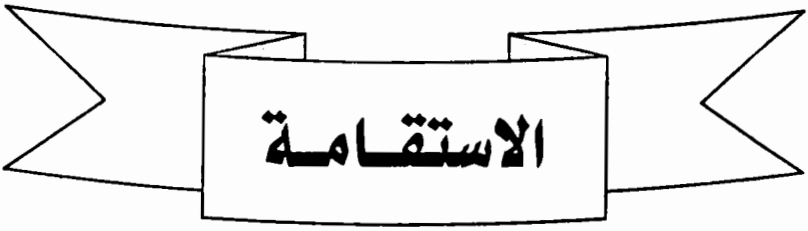

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[فصلت: ٣٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

ها قد عرفتم الطريق إلى الله تعالى، فهل ثبتت أقدامكم على الطريق؟ هل مضيتم فيه بعزم ومجاهدة للنفس وصبر ومصابرة على المشاق، أم سرعان ما ألمّ بكم العجز والوهن وأصابكم الونى والفتور؟ لقد أخبر النبي الكريم ﷺ أن لكل أمر شرة أي: حدة ونشاطًا، وله فترة أي: توان وضعف وفتور.

فكيف يستطيع المسلم أن يثبت على الطريق؟

كيف يستطيع أن يكمل الطريق إلى آخره؟

ويا ترى ما هي معالم هذا الطريق؟ وما هي وسائل التثبيت عليه؟

إن معرفة الحق والمنهج أمر ميسور ولكن الاستقامة والثبات عليه ليس بالأمر اليسير؛ ولذا فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستقامة على المنهج فقال له:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ وأوصى بذلك النبي ﷺ أصحابه.

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك. فقال له النبي ﷺ: "قل آمنت بالله، ثم استقم"[1]. وكان

(١) جزء من حديث أنس عن النبي ﷺ وهو في صحيح البخاري.

النبي ﷺ دائم السؤال لربه يطلب التثبيت فكان كثيرًا ما يدعو ويقول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

فالاستقامة على منهج الله تعالى لا تكون بحولك ولا بقوتك وإنما تكون بدوام الدعاء والخوف والإشفاق من الرجوع إلى الباطل، كما قال النبي ﷺ: "أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار".

فلابد للمسلم أن يكون حذرًا من أن يفتن عن دينه، فعليه أن يكون دائم الدعاء بالهداية، وأن يسأل الله تعالى التثبيت والاستقامة على المنهج في كل وقت وحين.

وهأنذا أعرض لك أخي المسلم، وأختي المسلمة في هذه الرسالة أهم معالم الطريق، عسى الله تعالى أن يثبتنا جميعًا على طريق الخير.

*** بداية الطريق:**

اعلم- رحمك الله -أن بداية طريقك إلى الجنة هو أن تتذكر الغاية التي خلقك الله تعالى لأجلها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

فالعبد إذا نسي الغاية التي خلقه الله تعالى من أجلها، والهدف الذي يراد منه تحقيقه -فإنه سوف يضل بلا شك ويهلك في أودية الدنيا ودروبها الملتوية، وحينئذ لا يبالي الله تعالى في أي أودية الدنيا هلك.

ففي الحديث عن النبي ﷺ: "من جعل الهموم همًّا واحدًا - هم المعاد - كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم -من أحوال الدنيا- لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك"[2].

وهذه الغاية لا شك أنها واضحة جلية لدى كل مسلم، ولكننا نحتاج في هذا المقام إلى تذكيره فقط بتلك الغاية، وهي التي عبر عنها الله تعالى واضحة جلية، في قوله تعالى:

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص ٢/ ٤٤٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[1].

ولكن كيف يمكن أن يجعل العبد حياته كلها عبادة لله عز وجل؟ وكيف يجمع بين تلك العبادة وحاجات نفسه؟!

وللإجابة على هذا السؤال، لابد أن نعرف أولاً ما هو معنى العبادة، وذلك لأن المعنى الصحيح للعبادة التي خلقنا الله تعالى لأجلها قد انحرف لدى كثير من الناس.

وإيجازًا للقول، نقول: لقد انحصر مفهوم العبادة لدى كثير من الناس اليوم في دائرة النسك الظاهر من صلاة وصيام وزكاة وحج وتلاوة قرآن ونحوها.

والحقيقة التي خفيت على كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم أن العبادة هي: الالتزام بما شرعه الله عز وجل في جميع مجالات الحياة، وفي كل لحظة من لحظات العمل. فالعبد مطالب بأن يجعل جميع حياته عبادة لله، لا بمعنى أن يقضي حياته كلها في الصلاة والصيام والحج فهذا تكليف بما لا يطاق، وإنما بمعنى أن يلتزم بفرائض الله وواجباته التي أوجبها عليه في كل أمور حياته.

فعليه أن يجعل سعيه وعمله في الدنيا عبادة، بأن يجعله وفق منهج الله.

وعليه أن يجعل تعامله مع الناس عبادة، بأن يجعله وفق منهج الله.

وعليه أن يجعل معاشرته لأهله عبادة، بأن يجعلها وفق منهج الله.

وعليه أن يجعل أكله وشربه ولبسه عبادة.

وهكذا في سائر أموره.

فمعنى العبادة ألا تتقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ بقول أو فعل تفعله من

---

(١) الذاريات: ٥٦-٥٧.

عند نفسك، قبل أن تعلم حكم الله وحكم رسوله ﷺ فيه.

قال تعالى في كتابه: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

فمعنى العبادة هي المتابعة التامة لكل ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال، مع الإخلاص في ذلك لله رب العالمين.

* أصلح النية:

قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[٢].

هذه إذًا هي البداية الصحيحة لكل عمل، أن تبحث له عن نية صالحة تلتزم بمقتضاها، وتعمل على هديها، فالأعمال لا تعتبر عند الله إلا بالنية الصالحة، وهذا هو معنى قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات" أي: (إنما تعتبر الأعمال عند الله بالنيات) أو:(إنما تصح الأعمال بالنيات الصالحة) فبغير النية الصالحة لا يصح العمل ولا يعتد به ولا يقبل عند الله تعالى.

فعليك أن تصحح نيتك في دراستك، بأن تجعل نيتك معرفة آيات الله تعالى في الكون، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[٣].

وعليك أن تجعل نيتك في دراستك أيضًا أن تتعلم ما ينفعك، وينفع المسلمين، ويعود عليهم بالخير، ولا بأس أن تجعل لك نية صالحة في كل شيء، حتى في تعلم الباطل كالفلسفات المختلفة المخالفة لعقائد الإسلام الصحيحة، فاجعل نيتك في تعلمها أن تعرف الباطل لتحذر منه غيرك، وتجيب على شبهاته وأباطيله.

---

(١) الحجرات: ١.

(٢) البخاري ومسلم (١٩٠٧).

(٣) فصلت: ٥٣.

* تقوى الله:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[1].

فهذا هو سبيل الله، الذي لا سبيل غيره، ألا وهو تقوى الله! فالفائزون بالجنة هم المتقون.

والمتقون هم الذين وصفهم الله تعالى بتلك الصفات الجليلة من الإنفاق في سبيله وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إليهم.

وقد يتصور أن هؤلاء المتقين هم الذين لا يخطئون ولا يعصون الله تعالى أبدًا.

ولكن الله تعالى يبين أن المتقين هم بشر يصيبون ويخطئون، قد ركبت فيهم نوازع الشر، وغرائز الشهوات، فقد تغلبهم تلك النوازع والغرائز فيقعون فيما حرم الله تعالى عن غفلة منهم، وتزين من الشيطان، ولكنهم سرعان ما يرجعون إلى الله تعالى وينيبون إليه. فلا تعجب أخي الحبيب إذا سمعت الحق تبارك وتعالى يصف هؤلاء المتقين بأنهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

إنهم كما وصفهم الله تعالى أيضًا حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ

(١) آل عمران: ١٣٣-١٣٦

(٢) آل عمران: ١٣٥.

مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١].

ولكن لعلك أخي الحبيب تسأل وتقول: ما معنى تقوى الله تعالى إذًا؟

فاعلم أخي في الله أن التقوى هي: طاعة الله تعالى واجتناب محارمه.

هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وإذا كانت التقوى جامعة لأبواب الطاعات الموصلة إلى الجنات، فلنذكر من تلك الأبواب أهمها وأوسعها مدخلاً إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين:

فلم يشترط الله سبحانه شرطًا لرحمته ومغفرته ونيل جنته سوى الإنابة إليه، والإسلام له بمعنى الانقياد لطاعته سبحانه.

*** إقامة الصلاة:**

اعلم يا عبدالله أن الصلاة هي أعظم الطاعات، وأقرب القربات، وأنها الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: "بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٢].

وقال أيضًا: "أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة"[٣].

فإذا كانت هذه منزلة الصلاة فلا عجب إذًا أن تكون تلك الصلاة ذات الخشوع والخضوع طريقك إلى الجنة.

قال رسول الله ﷺ: "من غدا إلى المسجد،أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٣) صحيح، انظر صحيح الجامع (٢٥٧١-٢٥٧٤).

غدا أو راح"[١].

وكذلك الصوم فإنه أحد أبواب الجنة، ففي الجنة باب يقال له (الريان) لا يدخل منه إلا الصائمون[٢]، كما أخبر الحبيب محمد ﷺ وكذلك سائر الأركان من الزكاة والحج والجهاد في سبيل الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، فلكل طاعة من الطاعات باب من أبواب الجنة، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام أو الصدقة أو الجهاد أو غير ذلك دعي من الباب المختص بتلك العبادة كما صح به الحديث عن النبي ﷺ.

* طاعات وعد الله تعالى عليها الجنة:

(١) تلاوة القرآن:

اعلم أخي في الله أن قراءة القرآن وتلاوته على الوجه الذي يحب ربنا ويرضى بتعلمه وتلقيه من القراء، وإقرائه والعمل به ـ هو من أعظم النوافل والمستحبات التي تقربك إلى الله زلفى.

ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل، كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[٣].

وقد صح أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يصلي بأصحابه صلاة إلا قرأ فيها بسورة الإخلاص فشكا الصحابة ذلك إلى النبي ﷺ فسأله عن ذلك، فقال الرجل: إني أحبها!

فقال النبي ﷺ: "حبك إياها أدخلك الجنة"[٤].

---

(١) متفق على صحته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٣) صحيح، وانظر صحيح الجامع (٨١٢١-٨١٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٣-٢١٤) تعليقًا وقد وصله الترمذي.

فانظر يا عبدالله كيف أن محبة سورة واحدة من كتاب الله تعالى من القصار يكون سببًا في دخول الجنة؟ فكيف بمن قرأ القرآن كله، وقام على تلاوته والعمل به آناء الليل وأطراف النهار؟!

(٢) طلب العلم الشرعي:

قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"[١].

فالجزاء من جنس العمل، فكما أن العلم هو الذي يوصل في الدنيا إلى الطاعات التي جعلها الله تعالى طريقًا إلى الجنة، فكذلك يكون في الآخرة طريقًا إلى الجنة.

(٣) بر الوالدين وصلة الأرحام:

قال رسول الله ﷺ: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة"[٢].

فالنبي ﷺ يبين أن بر الوالدين من أعظم أسباب دخول الجنة، ويدعو على من لا يحصل ذلك السبب أن يرغم الله أنفه، أي: يذله الله تعالى، كما أساء إلى والديه ولم يكرمهما.

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري -رضي الله عنه-: أن رجلًا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار. فقال النبي ﷺ: "تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم"[٣].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي وانظر صحيح الجامع.
(٢) رواه مسلم (٢٥٥١).
(٣) أخرجه مسلم (١٣).

(٤) الحب في الله:

قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار"[١].

وقال ﷺ:"قال الله عز وجل:المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء"[٢].

وعن علي -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة"[٣].

و"الخريف": الثمر المخروف أي: المجتنى.

وقال ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله..."، وصدق رسول الله ﷺ فالحب في الله هو أعظم وثاق يوثق به المؤمن في طاعة الله تعالى!

وكيف لا والمتحابون في الله يذكر بعضهم بعضًا بطاعة الله، ويعين بعضهم بعضًا على طاعة الله تعالى، ويثبت الواحد منهم إخوانه عند المحن والشدائد، ويكون عونًا له على الشيطان وهوى نفسه الأمارة بالسوء؟!

(٥) الإكثار من النوافل:

قال رسول الله ﷺ: "من صلى لله تعالى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة" قالت أم حبيبة-رضي الله عنها- :فما تركتهن منذ سمعتهن من

---

(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح، وانظر صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٣) صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٣٩)

رسول الله ﷺ.

وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة -رضي الله عنها-، وقال عمر بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة[١].

فانظر يا عبدالله كيف تبني جنتك بنفسك، بطاعتك لربك؟

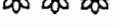

(١) أخرجه مسلم (٧٢٨).

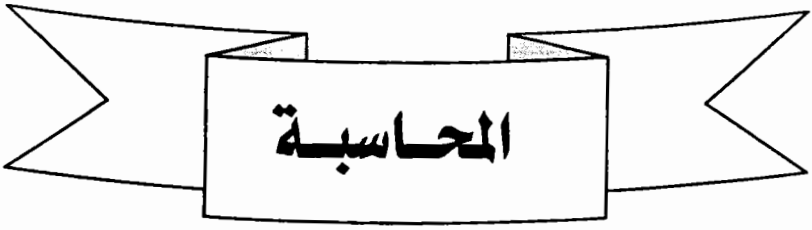

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ۞ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾

[القيامة: ١، ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

من الأخلاق التي يحبها الله تعالى، ويحبها رسوله ﷺ خُلق محاسبة النفس، وليس أدلّ على ذلك من أن الله تعالى قد أقسم في كتابه بالنفس اللوامة، فقال: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ۞ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

والنفس اللوامة:هي التي تلوم صاحبها على الغفلة والتقصير والعصيان، وهي التي كثر ذلك منها حتى صار صفة لها، ولذا وصفها الله تعالى بصيغة المبالغة فهي لوَّامة أي كثيرة اللوم وليست لائمة فقط.

وتزداد حاجتنا إلى هذا الخلق في هذا الزمان الذي عظمت فيه غفلة العباد عن طاعة ربهم، وعن أمر الآخرة، وألهتهم الدنيا بلذاتها وشهواتها فتكالبوا على جمع حطامها، ولم يبال المرء في جمعه للدنيا من حلال أم من حرام؟

لذا فقد كتبت هذه الرسالة أعظ بها نفسي وإخواني لعلنا نفيق من غفلتنا ونقف وقفة نحاسب فيها أنفسنا على تقصيرها وغفلتها، والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) القيامة: ١-٢.

* معنى المحاسبة:

* محاسبة النفس هي: أن تلوم نفسك في الفعل والترك.

فإن ألمت بشر لمتها قائلًا: لم فعلت؟

وإن تركت خيرًا لمتها قائلاً: لم تركت؟

وإن فعلت خيرًا لمتها قائلاً: لم فترت ولم تستزيدي؟

وإن تركت شرًّا لمتها قائلاً: قد تباطأت في الترك وتأخرتِ؟!

وهكذا أبدًا تلومها على كل حال فهي جديرة بالتهمة، وأهل للملامة، فما أطول غفلتها! وما أسرع ملالتها! وما أشد ضعفها! وما أعظم استهانتها بأمر ربها! وما أكثر تفاخرها بالباطل واغترارها بالغرور وتطاولها على الخالق وتماديها في الغفلة والثبور![1].

فلأجل ذلك: كن دائم المحاسبة لها، ولا تظهرن لها الرضا مهما أتت من كسب أو عمل، فسرعان ما تفتر، وتتهاون وتقصر، لاسيما إن أبديت لها رضًا، أو اطمأننت إليها، فكن منها دائم الخوف والوجل، واعلم دائمًا أنها عدوك الأول، فأعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك!

ولم لا وهي لا تنفك عن غش وخداع ومكر، تصد عن خير، وتأمر بسوء؟!

وهل تطمئن لها وقد أخبر عنها اللطيف الخبير، فقال: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾؟[2].

وقال الحسن البصري - رحمه الله-: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقصرها في كل فعل فيندم ويلوم نفسه،وإن الفاجر ليمضي قدمًا لا

---

(١) الثبور: الهلاك.

(٢) يوسف: ٥٣.

يعاتب نفسه.

❋ **والمحاسبة**: هي لوم النفس على الغفلة والتقصير.

لومها على الغفلة عن الغاية التي خلقت لأجلها.

لومها على الغفلة عن اللهج بالذكر والتسبيح.

لومها على الغفلة والتشاغل عن الطاعات.

لومها على الغفلة والتمادي في العصيان واللهو والغرور.

ولومها على التقصير في الطاعة، والملالة منها، والفتور عنها.

❋ **والمحاسبة**: هي اتهام النفس، وعدم اعتقاد زكاتها وصلاحها، واعتقاد أنها ربيبة سوء، وأهل لكل معصية وإثم.

فلا تأمنن لها أبدًا، فهي كثعبان يلدغ من حيث لا تشعر!

❋ فوائد محاسبة النفس:

١ -إصلاح النفس وتقويمها:

من فوائد المحاسبة: إصلاح النفس وتقويمها، والبلوغ بها إلى درجة عالية من الرّقي في سلم العبودية لله رب العالمين.

وذلك؛ لأن محاسبة النفس تكون بالتفتيش عن آفاتها ومعرفة عيوبها، فيكون ذلك سببًا لإصلاحها وتهذيبها والارتقاء بها.

فالمؤمن الحق الذي يوقن بالجنة والنار والحساب والوقوف بين يدي ربه تعالى، ولا يصبر أبدًا على ما فيه نفسه من المعصية والضلال الذي يعلم أن عاقبته النار، ولذا فقد تعجب الله سبحانه وتعالى من أولئك الذين يعلمون أنهم على الباطل وأن مصيرهم النار، ويصبرون على ذلك ولا يتحولون عما هم عليه من الباطل، قال تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى

النَّارِ﴾[1].

٢- تدارك النقص بمعرفة الخسارة والربح:

من فوائد إصلاح النفس أيضًا: تدارك ما هي فيه من النقص، وذلك بمعرفة ما هي فيه من الخسارة والربح.

فالمؤمن الذي يحاسب نفسه هو كالتاجر الكيس الذي يقوم بجرد بضاعته وماله كل سنة أو شهر أو يوم لينظر هل يربح أم يخسر؟

ففي خضم الحياة، وغمرة شئونها، قد تتكاثر الأمور على المسلم فيغفل عن محاسبة نفسه، فينفرط أمره، ويتتابع تقصيره وخسارته، فيوقن بالخسارة ويأس من تدارك أمره، لما يشعر من انفراط الأمر وفوات الأوان.

لذا ينبغي على المسلم ألا يغفل عن محاسبة نفسه أولاً بأول حتى لا يتعقد الأمر ويصل به إلى حالة من اليأس والقنوط، فإنه إذا حاسب نفسه عرف تقصيره وخسارته وأدرك ما لحق من النقص في أول الأمر، فسارع إلى تداركه حيث يمكن التدارك.

٣-الحياء والخشية من الله تعالى:

وذلك أنه إذا عرف تقصيره وغفلته وقاس ذلك إلى نعم الله تعالى وفضله وستره عليه أورثه ذلك حياء من الله تعالى؛ وأورثه خشية أن يعجل الله تعالى نقمته وعقوبته فيسرع لتدارك ما فاته باللجوء إلى ربه سبحانه.

٤-الانكفاف عن الخلق:

اعلم أن من فوائد محاسبة النفس كذلك: أن تكف نفسك عن الخَلق، وأن تنشغل بمعرفة عيوبك عن تتبع عيوب غيرك.

---

(١) البقرة: ١٧٥.

٥-الاستعداد ليوم الحساب:

من أهم فوائد محاسبة النفس: الاستعداد ليوم الحساب، والوقوف بين يدي رب الأرباب، فمن علم أنه قادم على الله تعالى لا محالة، وأنه مسئول عن أعماله، فإنه لابد أن يعد لهذا السؤال جوابًا، وأن يقدم له ما يقبل من العمل.

ويُروى أن الفضيل بن عياض -رحمه الله- قال لرجل:

"كم أتت عليك؟

فقال الرجل: ستون سنة.

قال الفضيل: فأنت من ستين سنة تسير إلى ربك، توشك أن تبلغ.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون!

قال الفضيل: أتعرف تفسير ما قلت؟

ثم فسرها له الفضيل فقال: من عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف.

ومن علم أنه موقوف علم أنه مسئول.

ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا.

فقال الرجل: فما الحيلة؟

قال: يسيرة.

قال: ما هي؟

قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أُخذت بما مضى وما بقي"[1].

وقال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَّاتَّقُوا الله

(١) أبو نعيم: سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٣).

﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١].

فقوله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾: أمر بتقواه، وهي تشمل فعل ما أمر، وترك ما عنه زجر.

وقوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم؟ ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾: تأكيد ثان، ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير.

وبعد؛ فهذه هي فوائد المحاسبة، فمن نظر فيها علم كم هو محتاج إليها؟ وأنها واجبة عليه، لابد له منها حتى ينجو من شرور نفسه، ويصل إلى رضوان ربه.

* كيف أحاسب نفسي؟

لعلك الآن بعد أن عرفت أهمية محاسبة النفس وفوائدها ووجوبها عليك، قد تشوقت وتحفزت أن تعرف ما السبيل إلى ذلك؟ فانطلق لسانك سائلاً: كيف أحاسب نفسي إذًا؟

١ - تعلم العلم الشرعي:

اعلم يا عبدالله، واعلمي يا أمة الله أن أكثر الخلق قد انصرف عن محاسبة نفسه مطمئنًّا لها، راضيًا عنها وبها، وذلك لعظم جهله بدين الله تعالى، وما يجب عليه لربه.

والدليل على ذلك أنك إذا قلت لأحدهم: حاسب نفسك!

أو قلت له: اتق الله تعالى! والتقوى هي أساس المحاسبة، فإنه ينطلق بلسان مُدل مطمئن يقول لك: الحمد لله تعالى! إن بيني وبين الله تعالى عمارًا وصلاحًا

---

(١) الحشر: ١٨.

والعبرة بصلاح القلب، وربك رب قلوب!

أو يقول لك: الحمد لله تعالى؛ فإني لا أعمل شيئًا مما يغضب الله تعالى فأنا لا أسرق ولا أزني ولا أشرب الخمر!

وهكذا، فهؤلاء الجهال لا يعرفون من كبائر الذنوب إلا السرقة والزنا والقتل وشرب الخمر ونحو ذلك، وقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقد سُئل عن عدّ الكبائر وهل هي سبع فقط؟ فقال: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع.

نعم، فالكبائر كثيرة وقد تزيد على السبعين، فمنها الكذب، والغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين، وقطع الأرحام، وأذى الجار، والغش والرشوة والربا والقمار... إلخ[1].

وفي صحيح البخاري عن أنس -رضي الله عنه- قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات[2]. أي من المهلكات.

٢- اتهام النفس وسوء الظن بها:

وذلك؛ لأن الله تعالى أخبر بأنها أمارة بالسوء، وقال رسول الله ﷺ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"[3].

فالمؤمن الكيس هو من يدين نفسه كما قال رسول الله ﷺ أي يتهمها ويحاسبها، ولا يتركها على هواها ثم يتمنى أن يغفر الله له، بلا توبة ولا عمل.

---

(١) انظر كتاب الكبائر للإمام الذهبي، أو الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي على سبيل المثال لمعرفة كثير من تلك الكبائر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، والحديث في شرح الطيبي بتحقيقنا ح/ ٥٣٥٥.

(٣) رواه الترمذي وحسّنه. ومعنى دان نفسه: أي حاسبها.

وقال مالك بن دينار -رحمه الله- : رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمّها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائدًا.

٣- محاسبة النفس أولاً بأول:

على المؤمن أن يحاسب نفسه أولاً بأول على كل تقصير وغفلة، ولا يدعها حتى تتعقد أمورها، وتضطرب، وينفرط نظامها.

فمن فاتته صلاة الجماعة ذات يوم فترك نفسه دون ملامة أو محاسبة، حتى ترك جماعة أخرى، ثم ثالثة ورابعة، فيوشك أن يؤخر الصلاة عن وقتها ويوشك أن يضيع الصلاة، أما لو حاسب نفسه ولامها عند أول تقصيرها لانزجرت لذلك وتحولت عنه. ولله در القائل:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وقد بين الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأول الذي قبل العمل:

فهو أن يقف وقفة قبل العمل لينظر فيه هل الأفضل فعله أو تركه؟ فإن ترجح لديه أن فعل هذا العمل هو الأقرب والأحب إلى الله تعالى فعله، وإلا فإن تبين له أنه ليس أحب إلى الله تعالى تركه.

وأما النوع الثاني الذي بعد العمل:

فهو ثلاثة أنواع:

الأول: محاسبة النفس على التقصير في الطاعة.

الثاني: محاسبة النفس على كل عمل كان تركه خيرًا من فعله.

الثالث: محاسبة النفس على أمر مباح أو معتاد لم فعله؟ وهل أراد به وجه الله والدار الآخرة فيكون رابحًا، أو أراد به غير ذلك فيكون من الخاسرين[1]؟

وهكذا أخي المسلم! وأختي المسلمة!

عليك أن تسأل نفسك قبل كل عمل:

هل هذا أحب إلى الله تعالى أم لا؟

لماذا تُقْدِمِينَ يا نفسُ على هذا العمل؟

ولا تقدم على فعله إلا إن تمحصت نيتك فيه لله رب العالمين، وكان موافقًا لهدي رسوله الأمين ﷺ.

ثم إذا عملت عملاً سألت نفسك:

لماذا قصرت في تلك الطاعة؟

لماذا فعلت ذلك الفعل وكان تركه أولى؟

لماذا لم تحسن نيتك في هذا الأمر المباح فتجعله لله تعالى تقربًا إليه وابتغاء مرضاته؟

وهكذا كن دائم المحاسبة لنفسك تكن من المفلحين.

❁❁❁

(١) باختصار وتصرف من كلام الإمام ابن القيم.

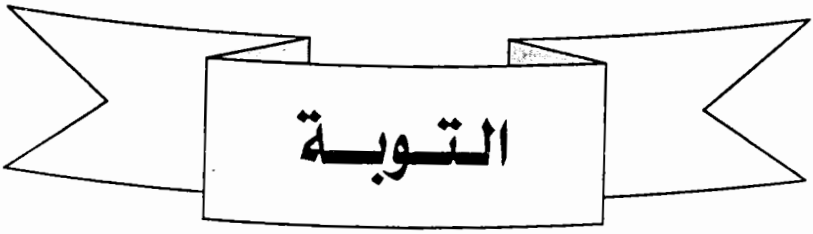

﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[التحريم: ٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ۞ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ المُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾[1].

فهذه يا عبد الله عاقبة التواني! حسرة وندامة، ولوعة وأسى، وإقرار واعتذار، ولكن بعد فوات الأوان، حين:﴿لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2]. فيا من أسرف على نفسه بكثرة الآثام، ونام عن ذنوبه وعين الله لا تنام، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾[3]. فإلى متى الغفلة وطول الرقاد، وكل من فر منه فإليه عاد؟!

وإلى متى يا عبد الله التواني؟ فإن الحياة دقائق وثواني!

---

(١) سورة الزمر: ٥٣-٥٨.

(٢) سورة غافر: ٥٢.

(٣) الفجر: ١٤.

فما الذي يثنيك عن التوبة، ويبعدك عن الإنابة؟

أغرور بربك؟ أم الأمن من مكره؟

فإن كان ذلك غرورًا، فهذا ربك يعاتبك ويناديك: ﴿يأيها الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[١].

وإن كان ذلك الأمن من مكره: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلا القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾[٢].

وإن كان ذلك يأسًا من رحمته: ﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلا القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[٣].

ولم تيأس من رحمته؟ وهو سبحانه ينادي عباده الذين أسرفوا على أنفسهم: ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤]. فسارع يا عبد الله إلى التوبة والإنابة، وإياك أن تتوانى في الرجوع إلى الله والاستجابة لندائه فتندم على تفريطك وتقصيرك بعد فوات الأوان، ولا يغلبنّ عليك اليأس فيمنعك الرجوع إلى الرحمن؛ فإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها، فسارع بالتوبة إلى الله تعالى تكن من الفائزين.

اعلم أخي: أن السالك إلى الله تعالى لا يصل إليه إلا بجناحين قويين يطير بهما إلى الله تعالى، وهذان الجناحان هما: الرجاء والخوف، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥].

---

(١) الانفطار: ٦-٨.

(٢) الأعراف: ٩٩.

(٣) يوسف: ٨٧.

(٤) الزمر: ٥٣.

(٥) الزمر: ٥٣.

إن الرحمن سبحانه يفتح باب الأمل والرجاء والتوبة للجميع، ولا يطرد أحدًا من عباده، بل يسعهم جميعًا مهما كانت ذنوبهم ومعاصيهم ما أنابوا إليه وحده، وأخلصوا التوجه لوجهه الكريم، فهو سبحانه خير مقصود، لا يرد من قصد بابه خائبًا.

إن الله -عز وجل- يفرح بتوبة عباده ورجوعهم إلى طاعته؛ لأنه يحب العفو، ويحب الرحمة، ويريد أن يتوب عليهم ويرحمهم: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[١].

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة"[٢].

وهو سبحانه يدعو عباده أن يدعوه ليستجيب لهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣].

ما أسرع تلك الإجابة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إنها فورية تامة، وسرعة فائقة، وإجابة مباشرة، تدل عليها الآية بلفظها قبل أن تدل عليها بمعناها، فهو سبحانه قريب مجيب، يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٤]. "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"[٥].

فسارعوا عباد الله إلى التوبة، فها هو ربكم يناديكم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ

---

(١) النساء: ٢٧-٢٨.

(٢) متفق عليه.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) أخرجه مسلم في (التوبة) باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت (٢٧٥٩).

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[1].

فالمتقون ليسوا هم الذين لا يذنبون، ولكنهم هم الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم.

وإذا لم يتب الله تعالى عليهم فإلى من يتوبون؟ من يستغفرون؟ فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله

وليعلم العبد أن الله تعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فمهما عملت من الذنوب ثم رجعت إلى الله تعالى فإن الله تعالى يقبل توبتك حتى ولو قتلت مائة نفس، فقد صح عن النبي ﷺ أنه أخبر بتوبة الله تعالى على رجل ممن كان قبلنا قتل مائة نفس، ثم تاب إلى الله تعالى فتاب عليه.

قال رسول الله ﷺ: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا. فقتله. فجعل يسأل، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما. فوُجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له"[2].

وليعلم العبد أن الله تعالى لا يرده ولو عاد إلى الذنب ألف مرة، ما دام يندم على ذنبه، ويرجع إلى الله تعالى بنية صادقة، وقلب منيب.

---

(١) آل عمران: ١٣٣-١٣٦.

(٢) متفق عليه.

ففي الحديث القدسي الصحيح الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه -عز وجل- قال: "أذنب عبدي ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك"[(١)].

فلا يمل العبد من تكرار التوبة والاستغفار من الذنب، فقد كان رسول الله ﷺ يستغفر الله تعالى ويتوب إليه في اليوم مائة مرة، وهو المعصوم، فعن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: "إنه ليغان على قلبي، وإني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة".

هذا لفظ مسلم في "صحيحه" ،ورواية البخاري قال: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"[(٢)].

فإذا كان هذا حال النبي ﷺ المعصوم، فما بالنا نحن وقد أصابتنا الغفلة عن ذنوبنا، وغرتنا الحياة الدنيا عن الإنابة والرجوع إلى ربنا وخالقنا؟ فنسينا أننا سنرجع إليه في يوم لا ريب فيه! قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[(٣)].

وقال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَّجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا﴾[(٤)].

ودون ذلك أجل لا ريب فيه، إنه الموت، وهو جد قريب.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) البقرة:٢٨١.

(٤) المزمل:١٧.

"وإنه جدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده -ألا يكون له فكر إلا في الموت، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبر إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تأهب إلا له، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا انتظار ولا تربص إلا له، وحقيق بالعاقل أن يعد نفسه من الموتى ويراها من أصحاب القبور؛ فإن كل ما هو آت قريب قال الله -جل وعلا-: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وقال ﷺ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت" الحديث.

فهيا! هيا يا عباد الله قبل فوات الأوان، هيا: ﴿مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.. فما هنالك من نصير.

هيا فالوقت غير مضمون. وقد يفصل في الأمر وتغلق الأبواب في أية لحظة من لحظات الليل والنهار، هيا"[1].

إن هذه هي أمارات التوبة النصوح:

الإنابة والرجوع إلى الله -عز وجل- وذلك بالإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم الرجوع إليه، والإسلام لله -عز وجل- والانقياد لأوامره.

فالتوبة النصوح هي كما قال الحسن البصري: أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على ألا يعود.

وقال ابن القيم:" النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم

---

(١) الظلال: (٥/ ٣٠٥٨).

ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته ولحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس أو الهروب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل.

فالأول: يتعلق بما يتوب منه، **والثاني**: يتعلق بذات التائب، **والثالث**: يتعلق بمن يتوب إليه، فنصح التوبة: الصدق فيها، والإخلاص، وتعميم الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة"[١].

فلابد للعبد أن يستيقظ من غفلته ويتدارك أمره بالإنابة إلى ربه قبل أن يفجأه هادم اللذات، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۞ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَّشَهِيدٌ ۞ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢].

فاحذروا يا عباد الله أن تتوانوا في الاستجابة إلى ربكم فيفاجئكم الموت، وتصيبكم حسرة الموت: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

إنها الحسرات والعبرات بعد الفوات.

---

(١) انظر "البحر الرائق": لأحمد فريد (ص١٥٩-١٦٠).

(٢) ق: ١٩-٢٢.

(٣) الزمر: ٥٦-٥٧.

إنها الحسرة التي تصيب كل مفرط في حق من حقوق الله: "إن أهل الجنة لا يتحسرون على شيء إلا على ساعة لم يذكروا الله تعالى فيها"[١].

إنها الحسرة التي تصيب أتباع الباطل حينما يعاينون زيف باطلهم الذي كانوا ينافحون عنه في الدنيا ليضلوا به عباد الله عن سواء السبيل، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢].

❁❁❁

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (ح٥٧٥٠).
(٢) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

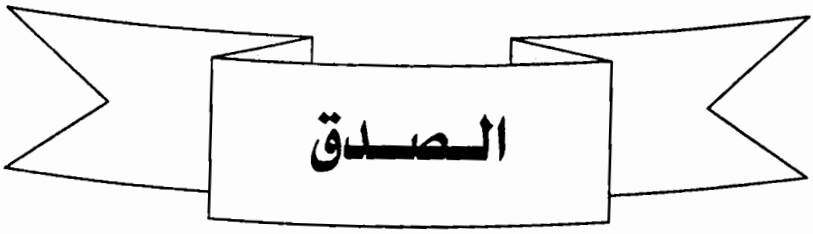

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾

[الأحزاب: ٢٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

إن مما يصد كثيرًا من الناس عن سماع الهدى واتباع الخير كثرة ما يؤمر به من الأوامر والنواهي، فيشتت عقله، وتتشعب به السبل، فلا يدري أي سبيل يسلك؟ ولا أي طريق يرتاد؟

فقد يذهب إنسان يرغب في الهداية إلى أحد الدعاة أو الواعظين يسأله عما ينبغي أن يفعل ليتقرب إلى الله، ويسلك سبيل المهتدين، فلعله يقع في يد داع لم يؤت حكمة الدعوة فيكثر عليه من تعاليم الإسلام وأوامره، فيضيق بذلك ذرعًا، ويرى أن الأمر ثقيل وشاق، فيدع الأمر جملة، ويرجع إلى ما كان فيه من الضلالة.

ولذا؛ فإني أخي الحبيب وأختي الحبيبة لن أثقل عليك في هذه الرسالة بكثير من الأوامر ولا كثير من المواعظ، ولن أدعوك إلا إلى خصلة واحدة فقط من خصال الخير، ومن الأخلاق الحبيبة التي أضمن لك بها الجنة، ولست بضامن ولا كفيل على الله سبحانه، ولكن رسول الله ﷺ هو الذي ضمن ذلك لكل من تحلى بهذه الخصلة من المسلمين، وأنا ضامن لك ذلك بضمان رسول الله ﷺ الذي لا

يكذب ولا يقول إلا الحق: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١] وهذا الخلق الذي ضمن رسول الله ﷺ لصاحبه الجنة هو خُلق الصدق.

وليس عجبًا أن يتصف المسلم بصفة واحدة فتكون سببًا في دخوله الجنة، وذلك أن تعاليم الإسلام كلها إنما هي طرق للخير يوصل بعضها إلى بعض.

وأوسع هذه الطرق وأرحبها وأكثرها انفتاحًا على طرق الخير كلها هو سبيل الصدق.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[٢].

والحق أنني حينما تأملت هذا الحديث عرفت قيمة الصدق وأثره في هداية العبد، وعرفت معنى قول النبي ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر" فالبر هو الخير كله، فكلمة البر كلمة جامعة لكل أنواع الخير من التوحيد والصدق مع الله تعالى، والتصديق برسوله ﷺ وحسن عبادة الله تعالى، وحسن معاملة عباده والإحسان إليهم.

ووقفت أسأل نفسي كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى كل سبل الخير؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى التوحيد؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى اتباع النبي ﷺ؟

---

(١) النجم: ٣-٤.

(٢) أخرجه البخاري في "الأدب" باب: قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ما ينهى عن الكذب (٦٠٩٤)، ومسلم في "البر والصلة" باب: قبح الكذب وحسن الصدق (٥/ ٤٦٦)- ط. الشعب.

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى الجود والكرم، وناهيًا عن البخل والشح؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى حفظ اللسان، وترك الغيبة والنميمة والكذب؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى فعل جميع الطاعات، وترك جميع المنكرات؟

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

تعاليا نتأمل معًا كيف يكون ذلك؟

***أعظم منازل الصدق:**

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

إن أول وأعظم منازل الصدق هو الصدق مع الله تعالى، فاعلم أيها المسلم، وأيتها المسلمة أن شهادة التوحيد لا تقبل من العبد بغير صدق مع الله تعالى فيها، وفيما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة من عبودية الله تعالى وعدم الإشراك به، وتعال نتأمل معنى كلمة التوحيد.

هذه الكلمة العظيمة: (لا إله إلا الله) تعني:أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، ومعنى ذلك أن هذه الكلمة عهد بينك وبين الله يقتضي شيئين:

الأول: عبادة الله تعالى.

الثاني: ألا تشرك به شيئًا.

وتأمل معي أخي المسلم وأختي المسلمة حال من قال هذه الكلمة، ولم ينو في قلبه عبادة الله تعالى والالتزام بشرعه وأوامره ونواهيه، هل يكون صادقًا مع الله

تعالى في هذا العهد الذي تضمنته هذه الكلمة؟

وإذا لم يكن صادقًا مع الله في ذلك، فهل ينفعه قوله: (لا إله إلا الله) بغير صدق فيها مع الله تعالى؟

إن هذه الكلمة لا تنفع صاحبها إلا بالصدق فيها مع الله تعالى، وهذا الصدق يقتضي أن يلتزم العبد بهذا العهد الذي قطعه على نفسه بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك به شيئًا، فيلتزم بكل ما أمر الله تعالى به، ويتجنب ما نهى الله تعالى عنه وأن يرضى بذلك كله وتقر به عينه، ويجاهد نفسه على الالتزام به ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإن وطن قلبه على ذلك، فهو صادق مع الله تعالى، وإن حدث منه تقصير في الفعل لغفلة أو غلبة شهوة أو غير ذلك.

أما إن أعرض عن عبادة الله تعالى والالتزام بأوامره بالكلية، وهو مع ذلك يقول: (لا إله إلا الله) فهو كاذب على الله تعالى فيها، وهو من المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

أما إذا صدق وأوفى بما عاهد عليه الله فهو من المؤمنين الصادقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَّرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالمُنْفِقِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[2].

وهؤلاء الصادقون مع الله تعالى هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ

---

(١) المنافقون: ١.

(٢) آل عمران: ١٥-١٧.

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وإذا أردت أن تعرف جزاء الصادقين مع الله تعالى فاقرأ سيرة أصحاب النبي ﷺ وكيف صدقوا مع الله تعالى[2]، فأثنى عليهم بقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[3].

فمن صدق مع الله تعالى في شهادة: (لا إله إلا الله) صدق في الالتزام والوفاء بجميع ما أمره الله تعالى به.

* صدق النية والعزيمة والإرادة:

اعلم أخي الحبيب أن خير ما يعينك على الصدق مع الله تعالى والصدق مع الناس هو أن تكون صادقًا في نيتك وعزيمتك وإرادتك، فإذا نويت نية الخير وعزمت على الطاعة فلا تتردد، فإذا هداك الله تعالى فعزمت على الالتزام بالصلاة، أو عزمت أيتها المؤمنة على الالتزام بالحجاب فلا تتردد ولا تترددي ولا تؤخرا الأمر لغد، فإنما هي فرصة تسنح يشرح الله تعالى صدرك ساعة الفعل، فإذا لم تستجب فلا تأمن ولا تأمنين هل يشرح الله صدرك لهذا الفعل مرة أخرى، أم يطبع على قلبك فتكون من الغافلين؟

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي

---

(١) الأحزاب:٣٥.

(٢) اقرأ في ذلك من هذه الرسائل الصغيرة رسالتنا (رجال حول الرسول)،و (الصدق مع الله) واقرأ أيضًا كتابنا الكبير (رجال ونساء حول الرسول ﷺ) ط.مكتبة الدعوة.

(٣) الأحزاب:٢٣

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١].

فإذا نويت الخير وعزمت عليه فلا تتردد ولا تؤخر، وقديمًا قالوا:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

*** الصدق مع النفس مفتاح كل خير:**

اعلم أخي الحبيب وأختي الحبيبة أن مفتاح الخير كله هو الصدق مع النفس، ومعنى ذلك أن يواجه الإنسان نفسه بما هو عليه، ولا يكذب على نفسه ولا يخادعها، فإن كثيرًا من الناس يخادع نفسه ولا يواجهها بحقيقتها، وهذا عجب عجيب!

فقد يداري الإنسان عن غيره من الناس، وقد يظهر خلاف ما يبطن، وقد يدعي لنفسه ما ليس لها، ولكن هل يكذب المرء على نفسه؟

هل يخادع المرء نفسه؟

للأسف الشديد إن كثيرًا من الناس كذلك، وهذه هي الآفة الكبرى التي تحول دون صلاحهم وهدايتهم؛ وذلك لأنهم يفسدون في الأرض، ويقولون: إنما نحن مصلحون، ويقنعون أنفسهم بذلك، وينسون أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وهذه هي طبيعة المنافقين كما بينها الله تعالى في كتابه الكريم.

***واجه نفسك بنفسك:**

عليك أن تكون شجاعًا مع نفسك، صادقًا معها، لا تستحي منها فهي نفسك، واجهها بما تفعل.

إن كنت تسرق فلا تستحي أن تقول لنفسك: أنا لص! أنا سارق!

لا تكذب ولا تتجمل ولا تقل: إنما هي إكرامية، إنما هي عمولة، إنما هي

---

(١) الأنعام: ١١٠

أتعاب...إلخ.

*** واجه نفسك بالحقيقة:**

إذا كنت تهتك الأعراض، وتقع في الحرمات فواجه نفسك، وقل بينك وبين نفسك: أنا زان، أنا مغتاب، أنا شارب للخمر، أنا مرتش، أنا لاعب ميسر.

وقولي لنفسك أيتها المسلمة إن كنت كذلك: أنا سافرة، أنا خائنة...إلخ.

هذا هو السبيل للتوبة، لا سبيل غيره.

وهذه هي البداية، ولا بداية قبلها.

هذا هو الدواء.

حقًّا إن طعمه مرّ علقم، ولكن شفاءه أكيد سريع.

*** الصدق يهدي إلى البر:**

تساءلت في أول الرسالة كيف يهدي الصدق إلى البر؟ كيف يهدي إلى جميع خصال الخير؟ ولعله قد اتضح لنا بعض الجواب مما سبق بيانه في الصدق مع الله، الذي يقتضي الالتزام بجميع أمور الدين.

وصدق العزيمة الذي يقتضي عدم التردد في الطاعة، والصدق مع النفس الذي يقتضي إصلاح جميع عيوبها، وهتك جميع أسرارها أمام النفس اللوامة.

وهناك أمثلة عملية غير ذلك كلها نضربها لنبين مصداق حديث النبي ﷺ أن الصدق يهدي إلى البر وإلى الخير كله وإلى الجنة.

مثال: الصدق يهدي إلى الجود والكرم وينهى عن البخل والشح.

إذا جاءك صديق يسألك قرضًا لضائقة ألمت به، فإن كنت تلتزم الصدق فلن تستطيع أن تمنع عنه ما معك من الخير لأنك قد التزمت الصدق مع الله والصدق مع الناس، فيكون الصدق بذلك داعيًا لك إلى الكرم ناهيًا لك عن البخل.

مثال: الصدق يهدي إلى حفظ اللسان وترك الغيبة والنميمة والكذب، فأنت إذا التزمت الصدق تركت ما يخالف ذلك كله، وأدّى بك ذلك إلى حفظ لسانك من الغيبة والنميمة والكذب والفحش وغير ذلك.

ومثال ذلك: أنك إذا أردت اغتياب شخص ما وكنت تلتزم الصدق؛ فإنك تخشى أن تسأل عما قلت فلا تستطيع أن تواجه الشخص الذي اغتبته وتصدق معه وتقول له: لقد قلت في حقك كذا وكذا، ولذا فأنت تحفظ لسانك فلا تقع في الغيبة أو النميمة أو الكذب أو الفحش أو غير ذلك.

وهكذا نجد أن الالتزام بهذه الخصلة وحدها خصلة الصدق كفيل بأن يورثنا الالتزام بجميع الطاعات ويجنبنا الوقوع في جميع الزلات.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى طاعته وأن يجنبنا معصيته.

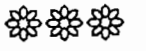

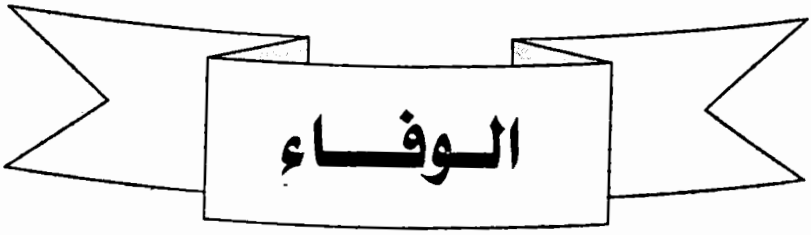

﴿...وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح: ١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

أحدثكم عن خلق عظيم من أخلاق الإسلام التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ :

هذا الخلق هو خلق الوفاء.

وتأتي حاجتنا إلى الحديث عن هذا الخلق في هذا الواقع الأليم الذي غلبت فيه المادة على القلوب، وأصبحت هي الموجهة لزمام النفوس.

وأصبح الناس يتساءلون أين الوفاء بالوعود؟ وأين حفظ العهود، وإتمام العقود؟

كل ذلك أصبح من الأمور النادرة التي قلما نجد من يلتزم بها، وما ذلك إلا لأن هذه الأخلاق جميعها من الصدق والأمانة والوفاء وغيرها إنما هي حبات لؤلؤ منتظمة في عقد الأخلاق الإسلامية، وهذه الأخلاق إنما هي جزء من نظام الإسلام بل هي واسطة عقد الإيمان، فإذا ضعف عقد الإيمان ووهى وانفرط، انفرطت معه جميع حبات هذا العقد، وتداعت هذه الأخلاق وتساقطت واحدة تلو الأخرى.

وما هذه الأخلاق إلا بمثابة عرى وروابط وثيقة للإيمان فكلما أحكم المسلم عروة ورابطة منها، فقد أحكم ارتباطه بالإيمان وأوثق نفسه بعروة من عراه الوثيقة،

فإذا اجتمع له قدر من هذه الأخلاق الحميدة، فقد استمسك بالعروة الوثقى عروة الإيمان لا انفصام لها والله سميع عليم.

فهيا أخي المسلم وأختي المسلمة نوثق هذه العروة من عرى الأخلاق التي يحبها الله ورسوله ﷺ، وهي عروة الوفاء.

الوفاء: هو إتمام الإنسان لما أخذه على نفسه من عهد والتزامه به.

والوفاء الشرعي: هو الذي يكون من منطلق الإيمان بالله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، فيلتزم العبد بما يلتزم به طاعة لله ورسوله ﷺ وإيفاء بعهد الله تعالى قبل كل شيء.

*أنواع الوفاء:

الوفاء قد يكون وفاء بالعهد الذي عاهد الإنسان غيره عليه، وقد يكون وفاء بالوعد الذي وعد به، وقد يكون وفاء بالعقد الذي تعاقد عليه كما في عقد المعاملات المختلفة.

۞ الوفاء بالعهد:

والوفاء بالعهد يكون مع الله تعالى، ومع الناس.

وعهد الله تعالى هو أعظم العهود وهو أولاها وأحقها بالوفاء، فالعبد يعاهد الله تعالى على عبادته وطاعته وامتثال أوامره وطاعة رسوله ﷺ، وهذه كلها عهود ومواثيق مع الله تعالى يجب على العبد أن يوفي بها.

أعظم العهود مع الله تعالى:

اعلم أخي المسلم، وأختي المسلمة أن أعظم العهود مع الله تعالى هو عهد التوحيد، ذلك العهد والميثاق الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة كلمة: (لا إله إلا

الله).

(لا إله إلا الله) عهد على عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به.

هذه الكلمة العظيمة هي إقرار منك أنه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى، أي أنك تعاهد الله تعالى ألا تتخذ معبودًا غيره.

ومعنى ذلك أن هذا العهد العظيم يتضمن أمرين عظيمين هما:

الأول: أن تعبد الله تعالى.

الثاني: ألا تشرك به شيئًا.

ومعنى الأمر الأول: أن تأتي بالعبادة التي كلفك الله بها على لسان رسوله ﷺ من التوحيد والصلاة والقيام والزكاة والحج وتلاوة القرآن، وبر الوالدين وصلة الأرحام، وحفظ الحقوق، وترك الحرمات والفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن.

ومعنى الأمر الثاني: ألا تشرك به شيئًا، أي: لا تقدم شيئًا من العبادة لغيره، فلا تدعو أحدًا غيره ليجلب لك النفع أو يدفع عنك الضر، فلا يجوز لك أن تستغيث أو تتوسل بأحد من الأولياء، أو تدعوه من دون الله تعالى، ولا يجوز لك أن تقدم شيئًا من الطاعة لغير الله، فلا تطيع أحدًا أبدًا إلا فيما شرع الله تعالى وهكذا.

وهذا هو أعظم أنواع الوفاء بالعهد.

وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بعهده فقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَاهَدُوا﴾[١].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٢].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

﴿أَفَمَن يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَّعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٥].

الوفاء بعهود الناس:

من الوفاء بالعهد كذلك أن تفي بما عاهدت عليه الناس من الخير، فإذا

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) الرعد: ١٩-٢٤.

عاهدت إنسانًا على أمر من الأمور التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ فعليك أن تفي به له، وهذا من الإيمان.

أما إن عاهدته على غير ذلك من الأمور التي يبغضها الله ورسوله ﷺ فليس عليك الوفاء بما عاهدته عليه؛ لأن في الوفاء له بذلك عدم الوفاء لله تعالى، وحق الله تعالى أعظم من حق غيره، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

تغير معنى الوفاء عند الناس في هذه الأيام:

للأسف الشديد تغير معنى الوفاء عند الناس في هذه الأيام فأصبحوا لا يعرفون من الوفاء إلا الوفاء بما نهى الله تعالى عنه، ونهى رسوله ﷺ عن الوفاء به.

فمن أمثلة ذلك أن يتعاهد شاب وفتاة على الوفاء والإخلاص في الحب!

ماذا يعنون بذلك؟

يعنون بذلك أن تظل هذه الفتاة مرتبطة بهذا الشاب في علاقة آثمة لا يرضى عنها الله تعالى ولا رسوله ﷺ، ولا يرضى عنها المؤمنون، كأن يتعاهدوا على اللقاء والتنزه معًا، وأن يتبادلا الحديث والنظر والتلامس ،كل ذلك بغير عقد شرعي صحيح أو بعقود باطلة مزيفة زينها لهم الشيطان مثلما يسمونه بالعقد العرفي، بغير ولي ولا شهود، فهذا باطل لا محالة وعلاقة محرمة.

ومن العهود الباطلة كذلك أن يتعاهد بعض الأصدقاء على السهر والخروج معًا للمعصية في يوم معين كل أسبوع، أو كل ليلة أو نحو ذلك فهذا كله لا يجوز الوفاء به.

أو أن يتعاهدا على السرقة سويًّا، أو على ارتكاب أفعال الإجرام أو الشرب المحرم، أو ارتكاب الفواحش، وأن يتعاقدا ويتعاهدا على أن يكونا معًا في جميع

الأحوال، فكل هذا باطل لا يجوز الوفاء به بحال، بل إن الله تعالى يأمرك بنقض هذا العهد الباطل والتبرؤ منه، ولا يتم إيمانك إلا بنقض ذلك وتركه.

هـذا، وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بعهودهم مع الناس فقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

وقال ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"[2].

وقد ضرب النبي ﷺ المثل في الوفاء بالعهد في وفائه بعهد زوجته خديجة حتى بعد وفاتها حيث كان يكرم صديقاتها إكرامًا لعهدها.

❁ الوفاء بالوعد:

الوفاء بالوعد من علامات الإيمان، كما أن إخلاف الوعد من علامات النفاق، ولذا قال رسول الله ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر".

وفي حديث سفيان:"وإن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من

---

(١) آل عمران: ٧٦.

(٢) صحيح أخرجه أحمد في "المسند"(٣/ ٤١٤)، وأبو داود(٣٥٣٥)، والترمذي(١٢٦٤)، والحاكم(٢/ ٤٦)، وغيرهم من طريق طلق بن غنام عن شريك وقيس عن أبي الحصين عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا. وقال الترمذي: حديث حسن غريب" وقال الحاكم: "حديث شريك عن أبي حصين صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي. وتعقبهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة(٤٢٤) بقوله: "قلت: وفيه نظر فإن شريكًا إنما أخرج له مسلم له متابعة كما قال الذهبي نفسه في "الميزان" وهو سيئ الحفظ، ومثله متابعة قيس وهو ابن الربيع، لكن الحديث حسن باقترانهما معًا، وهو صحيح لغيره لوروده من طرق أخرى" ولذلك أورده في صحيح الجامع برقم (٢٤٠).

النفاق"[١].

وقال ﷺ: "اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"[٢].

لذا ينبغي على المسلم أن يفي بوعده مع الناس، فإذا واعد إنسانًا أن يأتيه في موعد كذا، فعليه أن يلتزم بهذا الموعد ما أمكن، أو يعتذر قبله بوقت كاف إن لم يتمكن من الإيفاء به، لئلا تكون فيه شعبة من النفاق، ولئلا يضر بالغير، والإضرار بالغير محرم، لأن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"[٣]، فهذا الشخص الذي ينتظرك قد تكلف لك بترك عمله وما وراءه وفرّغ نفسه لك، وجلس ينتظرك، وفي هذا إهدار للوقت وهو أثمن ما يمتلك الإنسان.

وعيب على المسلمين أن يقول بعضهم:إنهم قد تعلموا الالتزام بالوعد، والانضباط في المواعيد من غيرهم من الأمم الكافرة.

فكثير من المسلمين يحكي أنه سافر إلى إنجلترا أو إلى أوربا فكان على موعد مع أحد الناس في السادسة مثلاً، فذهب إليه في السادسة وخمس دقائق فلم يستقبله.

أو إنه إذا كان على موعد مع أحدهم في السادسة مثلاً فإن هذا الأجنبي الكافر يأتيه مثلاً قبل موعده بخمس دقائق مثلًا؛ ولا يتأخر عن الموعد المحدد دقيقة

---

(١) أخرجه البخاري في "الإيمان" باب: علامة المنافق(ح٣٤)، وفي مواضع أخرى، وكذا مسلم، في "الإيمان" باب: بيان خصال المنافق(١/ ٢٤٦) واللفظ له ،ط الشعب.

(٢) حسن، أخرجه أحمد في "المسند"(٥/ ٣٢٣)، والحاكم في "المستدرك"(٤/ ٣٥٨-٣٥٩) والبيهقي في "الشعب"(٤/ ٣٢٠)، وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع"(٨/ ١٠).

(٣) صحيح أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٦) من حديث عبادة ﷺ.

واحدة.

فنقول: إن هؤلاء ينطلقون في الالتزام بذلك من تقديرهم لقيمة الوقت المادية، وأثره في تقدم الأمم والشعوب، وذلك لغلبة الحياة المادية عليهم.

فالأجدر بالمسلمين أن يلتزموا بذلك كله انطلاقًا من إيمانهم بالله تعالى والتزامًا بأوامر رسوله ﷺ إليهم، وأنهم إذا التزموا بذلك فإنهم يرضون الله تعالى ويوفون بعهده قبل وفائهم بوعود الناس وعهودهم.

كذلك لا يجوز لك أن تخلف وعدك، إذا ما وعدت إنسانًا بعطاء ما، حتى ولو كان طفلاً صغيرًا؛ فقد قالت امرأة لطفلها تعال وأعطيك كذا وكذا، فقال لها النبي ﷺ :"أما إنك لو لم تفعلي، كتبت عليك كذبة"(١).

فهذا ديننا يعلمنا الالتزام مع الناس جميعًا حتى مع الأطفال الصغار، فعلينا أن نفخر بهذا الدين العظيم، وأن نلتزم بأوامره، لا بأن نفخر بسلوك الغرب الكافر الذي ينطلق من عقائد مادية لا من عقيدة إيمانية.

❁ الوفاء بالعقود:

من أنواع الوفاء الواجبة على المسلم كذلك الوفاء بالعقود في جميع المعاملات، فإذا عقد زواجه على شرط من الشروط الصحيحة الشرعية فعليه أن يفي به، كأن يشترط لزوجته أو لأهلها بمهر معين، فعليه أن يفي به، أو بأن يكرمها وألا يهينها، أو لا يخرجها من بلدها، أو بغير ذلك من الشروط الصحيحة.

كذلك، إذا دخل في عقد بيع أو شراء أو غير ذلك فعليه أن يلتزم بأداء ذلك البيع بشروطه الشرعية الصحيحة، ولا يجوز له أن يدخل في عقد من العقود الربوية

(١) صحيح أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/ ٤٤٧).

المحرمة، أو أن يشترط في البيع والشراء شرطًا باطلاً محرمًا.

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

أنتما مرآة الإسلام فعليكما أن تظهرا للناس أخلاق الإسلام وصورته الحسنة، وأخلاقه الفاضلة.

عليكما أن تكونا عنوانًا للوفاء، ومرآة للصدق، وصورة للأمانة.

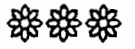

بر الوالدين

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَاخْفِضْ لَهُمَا ۞ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد...،

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

لقد صعد النبي ﷺ المنبر ذات يوم، فقال: "آمين"، فسأله أصحابه عن ذلك؛ فقال ﷺ: "جاءني جبريل آنفًا، فقال: يا محمد! من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يغفر له لعنه الله، أو أبعده الله! قل: آمين. فقلت: "آمين".

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

ماذا يرجو العاق لوالديه بعد أن باء بلعنة الله ورسوله ﷺ وملائكته والمؤمنين، فعاق والديه أو أحدهما لعنه الله تعالى، ولعنه جبريل عليه السلام والملائكة ولعنه محمد ﷺ والنبيون والصحابة والصالحون، فماذا يرجو ذلك العاق بعد ذلك من الفلاح أو النجاح؟!

إن اللعن معناه: دعاء على العبد بالطرد من رحمة الله تعالى، ودخول جهنم والعياذ بالله؛ فماذا يرجو من حلت عليه لعنة الله تعالى؟

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

أستحلفكما بالله تعالى إن كان أحدكما مغضبًا والديه أو أحدهما فليسارع بإرضائهما؛ فإنه لا فلاح له ولا نجاح إلا في رضاهما.

فسارع إلى إرضاء والديك، وإلى برهما؛ فإن في ذلك رضا الرب سبحانه، فقد أخبر النبي ﷺ أن رضا الرب في رضا الوالد.

فسارع إلى إرضاء والديك ترضي ربك سبحانه، فإن أرضيت ربك بإرضاء والديك فلا تسل عما يكون لك من الخير والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

* ما ورد في بيان فضل الوالدين ووصية الله تعالى بهما:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1].

في هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى بتوحيده، ثم قرن هذا الأمر العظيم بوجوب الإحسان للوالدين وكفى بذلك دليلاً على عظم منزلتهما، ثم أكد على الإحسان إليهما عند الكبر وهما أحوج ما يكونان إلى الإحسان، ثم أوجب لهما الترحم عليهما بعد موتهما، وجعل ذلك في مقابل حق التربية في الصغر: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وخص التربية بالذكر، ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما، وحنانًا عليهما، ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيرًا جاهلاً محتاجًا، فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكساك[2].

---

(١) الإسراء: ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٣٨٦٠) ط الريان.

وقال بعض الآباء، مذكرًا ولده سبق فضله عليه وإحسانه إليه:

غذوْتُك مولودًا وعلتك يافعًا ... تُعلّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسُقمك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقت به دوني فعيني تمهل
تخاف الرَّدَى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل

وقد ربط السياق القرآني بر الوالدين بعبادة الله إعلانًا لقيمة هذا البر عند الله بهذه العبارات الندية، والصور الموحية.

هذا، وقد تكررت الوصاية بالوالدين في كتاب الله تعالى فقال-جل وعلا-: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1].

فذكر برهما، وخص الأم بمزيد اعتناء لما تلقاه من عنت ومشقة في حمله، وهي تزداد كل يوم ضعفًا على ضعف، فالمرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل. ثم أمر جل ثناؤه بالشكر له على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية، قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس، فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات، فقد شكرهما[2].

وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: "لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من أف لنهى عن ذلك، فليعمل العاق[3] ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار"[4].

---

(١) لقمان:١٤.

(٢) تفسير القرطبي(٨/ ٥١٤٦-٥١٤٧) ط الريان.

(٣) فيه ترغيب في البر وترهيب من العقوق ولا يراد به فتح أبواب المعصية أمام البار.ففطرة الأبرار تأبى ذلك، والله أعلم.

(٤) تهذيب تنبيه الغافلين(١٩١).

* بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله:

فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال:" الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال:"بر الوالدين". قلت: ثم أي؟ قال:"الجهاد في سبيل الله"[١]. وجعل منزلة بر الوالدين بعد الصلاة مباشرة وقبل الجهاد في سبيل الله.

* الولد من كسب أبيه:

١- عن جابر بن عبدالله ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي مالاً وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي -فقال رسول الله ﷺ : "أنت ومالك لأبيك"[٢]. يجتاح: يستأصل ومنه سميت الجائحة وهي الآفة التي تصيب الزروع وغيرها فتمحو أثرها. "أنت ومالك لأبيك" أي: على الولد أن يقدم لأبيه ما يحتاجه.

٢- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي مالاً وولدًا، وإن والدي يريد أن يجتاح مالي، قال: "أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم"[٣].

٣- وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:"إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم"[٤].

* رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) صحيح الجامع (١٤٩٨)، وإرواء الغليل (٨٣٨).
(٣) صحيح الجامع (١٤٩٩).
(٤) صحيح الجامع (١٥٦٢).

"رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالد"، والوالد هنا يشمل الأم والأب، لأن كلاً منهما قد شارك في إيجاد الولد بإذن الله، ويفسره الحديث الذي بعده "رضا الرب في رضا الوالدين"[١].

فقد أمر تعالى أن يطاع الأب ويكرم، فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ومن أغضبه، فقد أغضبه، وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة، وعلم منه بالأولى أن الأم كذلك، لأن حقها أكثر، فعلى العاقل أن يحترز أن لا يكون عاقًّا لوالديه"[٢].

* بر الوالدين من الأعمال الصالحة التي يفرج الله بها الكُرب:

ويبدو ذلك واضحًا في حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فأخذوا يتقربون إلى الله بأفضل الأعمال؛ حتى يكشف عنهم ما هم فيه.

ففي حديث أصحاب الغار قال أحدهم: "اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنيَّ، وإني نأى بي ذات يوم الشجر فلم (آت) حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء"، ففرج الله منها فرجة رأوا منها السماء[٣].

---

(١) بر الوالدين(٣٤)، "صحيح الجامع"(٣٥٠٠) و"السلسلة الصحيحة"(٥١٦).

(٢) "درة الناصحين في الوعظ والإرشاد". تأليف عثمان بن حسن.

(٣) رواه البخاري ومسلم، و"صحيح الجامع"(٢٨٧٠).

* دعوات الوالدين مستجابة:

١- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر"(١).

٢- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم"(٢).

* الجنة تحت أرجل الوالدين:

عن معاوية بن جاهمة: أتيت النبي ﷺ أستشيره في الجهاد. فقال النبي ﷺ: "ألك والدان؟" قلت: نعم. قال: "الزمهما، فإن الجنة تحت أرجلهما"(٣).

وعن أبي سعيد ﷺ أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن، فقال: "هل لك أحد باليمن؟" قال: أبواي، قال: "أذنا لك؟" قال: لا، قال: "ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما"(٤).

* من قصص البررة:

بر إبراهيم عليه السلام:

انظر إلى بر إبراهيم عليه السلام بأبيه، وقد كان كافرًا، ولطفه في خطابه، وحرصه على هدايته، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ

---

(١) "صحيح الجامع" (٣٠٢٩).
(٢) "صحيح الجامع" (٣٠٢٨).
(٣) رواه الطبراني، وحسنه الألباني.
(٤) "صحيح الجامع" (٩٠٥).

كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1].

بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى، وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب، وذلك شأن الإيمان مع الكفر، وشأن القلب الذي هذبه الإيمان، والقلب الذي أفسده الكفر.

ولم يغضب إبراهيم الحليم، ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[2].

* الإنفاق على الوالدين حق واجب:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن عباس ومجاهد: فبين لهم تعالى ذلك فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾أي: اصرفوها في هذه الوجوه كما جاء الحديث: "أمك وأباك وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك"، وفي هذه الآية قدم الله ﷻ الوالدين على الأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي مهما صدر منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء فإنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة.

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد آتاه الله

---

(١) مريم:٤١-٤٦.

(٢) الجزاء من جنس العمل (١/ ٤٤٣).

(٣) البقرة:٢١٥.

مالًا، ثم لم يؤدِّ حق والديه إلا أحبط الله ﷻ عمله وأذاقه العذاب الأليم"[١].

❁ بر الوالدين بعد موتهما:

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: أنه كان إذا خرج إلى مكة له حمار يترحل عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه فبينما هو يومًا على ذلك الحمار؛ إذ مر به أعرابي فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة قال: اشدد بها رأسك فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودِّ أبيه بعد أن يُولي" وإن أباه كان صديقًا لعمر"[٢].

❁❁❁

(١) درة الناصحين في الوعظ والإرشاد (٢٢٨).

(٢) رواه مسلم (٨/ ٦).

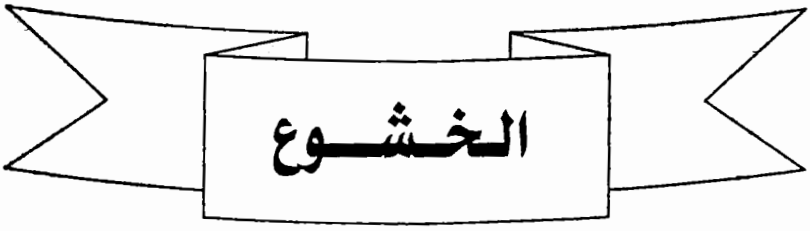

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١، ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

ففي هذا الزمان طغت وسائل اللغو على القلوب، فأخذت تدوي حتى تصخ الآذان، وتعوي حتى تصرع الأفئدة، وتثرثر بالليل والنهار ثرثرة كثيرة شغلت العقول، وألهت القلوب، وصرفت المنيبين إلى الله تعالى عن عبادة رب العالمين.

وهنا تظهر الحاجة ملحة إلى الحديث عن الخشوع بعد ما شُوشت القلوب، وزاغت الأبصار، ومادت الجوارح، وأصبح الناس مع وسائل اللهو في كل واد يهيمون. هنا تظهر الحاجة ملحة إلى الخشوع حتى تسكن النفس، وتطمئن القلوب بذكر الله تعالى، وتهدأ الجوارح وتنقاد طائعة لله رب العالمين.

لابد لنا من خشوع، ولابد لنا من طمأنينة، ولابد لنا من سكينة حتى نعقل ونفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

وهذه الرسالة الصغيرة تحاول تذكير المسلم والمسلمة بهذه الصفة التي يحبها الله تعالى، ويحبها رسوله ﷺ؛ والتي ينبغي أن يتحلى بها المسلم، حتى ينجح ويفلح في جميع أعماله ويكفي أن الله تعالى قد ضمن الفلاح للخاشعين في الصلاة، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1].

---

(١) المؤمنون. ١، ٢.

وكذلك يكون الخشوع سببًا للفلاح في جميع الطاعات والعبادات.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حقيقة الخشوع وأن يجعلنا من الخاشعين

❋ **الخشوع**: ذلة ورقة في القلب، وسكينة في النفس، وانقياد في الجوارح.

❋**الخشوع**: سكينة وطمأنينة ورضا، وانقياد لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ويكون أصله في القلب، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح وسكنت وانقادت وذلت لله رب العالمين.

❋ فوائد الخشوع:

للخشوع فوائد عظيمة منها:

١- خلوص النفس من عللها وآفاتها كالكبر والزهو والغرور ونحوها:

إذا خشعت النفس وسكنت، وتواضعت وتطامنت لله رب العالمين، فإنها تقر بالعبودية، وتحقق معناها وتسعد بالاتصاف بها.

فالعبد الخاشع يتحقق في نفسه أنه عبد لله تعالى، وأنه تزيد درجته وقربته عند ربه كلما تحقق بهذا المعنى؛ فإذا علم ذلك ووقر في نفسه لم يستطل على أحد من عباد الله تعالى، لأنه يعلم أن له حدًّا لا يتجاوزه وهو كونه عبدًا مملوكًا لله تعالى، والكل عبيد مملوكون له سبحانه، فليس لأحد أن يتكبر أو يتطاول على غيره، أو يفخر أو يزهو عليه بما لديه من مال أو جاه أو قوة أو سلطان؛ لأن ذلك كله ليس ملكًا له، ولكنه عارية مستردة من الله تعالى.

فإذا كان مراده الرفعة والحظوة والشرف والمنزلة عند سيده ومولاه؛ فإن ذلك لا يتحقق له إلا بالإمعان في التعبد وإظهار الخشوع والتواضع والتذلل، فإذا علم ذلك علم أن تواضعه وتذلله وخشوعه لله رب العالمين هو سبيل الشرف والرفعة والعزة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا نعلم أن أول فائدة من فوائد الخشوع هي خلوص النفس من آفاتها وعللها: كالكبر والبغي والفخر والزهو والغرور والخيلاء، أعاذنا الله تعالى من ذلك كله. آمين.

٢- الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ:

إذا خشع العبد، وتواضع لله تعالى، وسكنت نفسه واطمأن قلبه بشرع الله تعالى؛ فإنه يكون مهيأ للاستجابة لأوامر الله تعالى، وأوامر رسوله ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

فالقلب الخاشع هو القلب الذي يفزع لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ويرتعد لأجله، ولا يتهاون به، ولا يضيعه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين الصادقين الذين خشعت قلوبهم لله رب العالمين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

٣- الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ:

القلب الخاشع، والنفس الساكنة المطمئنة، والعقل المستنير بنور الله تعالى، الذي لا ينشغل بسواه هو الذي يعقل كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ ويفهم عن الله تعالى مراده، وعن رسوله ﷺ.

أما القلب والعقل المشوش بالباطل، المملوء باللهو واللغو وسفاسف الأمور فأنى له أن يعقل وأن يفهم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، فهو مشوش العقل والقلب والخاطر، تتنازعه الشهوات والأهواء والشبهات، فلا يكاد يعرف الحق من الباطل، ولا يكاد يستبين سبيل الهدى.

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) الأنفال: ٢.

* كيف يتحقق الخشوع؟

للخشوع أسباب لا يتحقق إلا بها، فمن هذه الأسباب:

١- ترك اللغو:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1].

فقد حكم الله تعالى في هذه الآيات بفلاح المؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفات، ثم ذكر أعظم صفة من صفاتهم التي هي سبب فلاحهم وهي الخشوع في الصلاة، ثم ذكر بعد ذلك الصفة التي تعينهم على الخشوع في الصلاة، وهي الإعراض عن اللغو.

واللّغو هو: كل كلام فارغ، وكل عبث باطل، وكل أمر ينبغي أن يتنزه المسلم عن فعله.

فمن أمثلة اللغو: كل ما لا فائدة فيه من الكلام الذي يخوض فيه الناس من الحديث في المباريات والأفلام والمسلسلات، وسماع ذلك والإكثار منه، وكثرة الجدال والمراء فيما بينهم، والخوض في الأعراض ونحو ذلك، وبعض ذلك قد يكون حرامًا أصلاً، وقد يكون مباحًا ولكن يوقع المسلم في المكروه بالإكثار منه، أو يوقعه في الحرام لأنه قد يشغله عن طاعة مثل الصلاة أو يشغله عن عمل هو أولى وأنفع كتحصيل رزق أو مذاكرة علم، ونحوه.

والحقيقة أن هذا أمر واقع ومشاهد ومجرب، فقد ذكر لي أحد الشباب أنه لا يستطيع الخشوع في الصلاة، لأنه يقف في الصلاة فيخيل إليه مشهد ضاحك من المشاهد التمثيلية فيضحك، أو يحضره مشهد مؤثر من تلك المشاهد، أو ينشغل بما

---

(١) المؤمنون: ١-٣.

سوف يصنعه الفريق الفلاني، وهل سيفوز في مباراة اليوم أم يخسر؟!..إلخ.

وإذا كان هذا اللغو يؤثر على الخشوع في الصلاة ويفسدها، فإنه يؤثر على جميع الطاعات، حيث يشغل القلب ويبعد النفس عن فعل الطاعات لانشغال القلب بما لا يعود عليه بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

٢- تفكر المرء فيما وراءه:

والمقصود بتفكر المرء فيما وراءه أن يتفكر المرء فيما ينتظره من الحساب والعذاب والأهوال؛ فإن كان لا يجد ما يشغله، فلينشغل بعذاب القبر ومواقف الحساب، ووزن الأعمال، وتطاير الصحف، والمرور على الصراط، والقصاص منه لأصحاب الحقوق التي عليه.

فعليه أن يجعل من ذلك كله أهم القضايا التي تشغله، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ذلك فقال: "من جعل الهموم همًّا واحدًا،هم المعاد،كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك"[(١)].

وقال ﷺ أيضًا: "من جعل الآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا راغمة، ومن جعل الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له فيها"[(٢)].

فإذا انشغل العبد بذلك خشع قلبه، وخشعت نفسه وجوارحه لله رب العالمين، وكان مثل هذا الصحابي الجليل حارثة - رضي الله عنه- وقد روى أن النبي ﷺ سأله: "يا حارثة كيف أصبحت؟"، فقال: أصبحت مؤمنًا حقًّا! فقال

---

(١) أخرجه الحاكم وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي(٢/ ٤٤٣)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع"(٦١٨٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"(٥/ ١٨٣)، والإمام الترمذي في جامعه(٢٥٨٣-أحوذي)، وصححه الشيخ الألباني في" صحيح الترمذي"(٢٥٩٦).

رسول الله ﷺ :" انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟" قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها قال:" يا حارثة عرفت فالزم"[١].

٣- التفكر في نعم الله تعالى عليه:

مما يورث الخشوع أيضًا أن يتفكر العبد فيما أنعم الله تعالى عليه من النعم؛ فإنها كثيرة جدًّا تستعصي على الحصر والعد.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

٤- محاسبته لنفسه ومشاهدته لتقصيرها:

مما يعين على الخشوع كذلك أن يحاسب العبد نفسه على تقصيرها إزاء شكر الله تعالى عليه؛ فإنه إذا تفكر في كثرة النعم، وتفكر في كثرة ذنوبه ومعاصيه وتخاذله وتقصيره في طاعة ربه، وحاسب نفسه على تقصيره ـ أورثه ذلك حياء وخشوعًا وانكسارًا وذلة بين يدي الله تعالى وإنابة إليه.

٥- تدبر ما أنزل الله على رسوله ﷺ:

مما يعين على الخشوع كذلك أن يتدبر العبد آيات الله تعالى وما أنزل على

---

(١) ذكره الهيثمي في "المجمع"(١/ ٥٧) وعزاه للطبراني، وفيه ضعف ويعتبر بمثله في أبواب الزهد والرقائق، وليس فيه ما ينافي الأخبار الصحيحة الثابتة.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

(٣) النحل: ١٨.

رسوله ﷺ سواء كان في الصلاة أو خارجها، فإذا كان في الصلاة فهو أحرى أن يخشع ويتدبر آيات الله تعالى فهذا أدعى لخشوع نفسه وسكونها وانقيادها لله رب العالمين وإذا كان خارج الصلاة كان ذلك هو الواجب عليه أن يتدبر كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ كما قال تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[1].

٦- سماع المواعظ ومعرفة أخبار الصالحين والهالكين:

وهذا أيضًا من خير ما يعين على الخشوع، وهو سماع المواعظ من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ومعرفة أحوال الصالحين وما كانوا عليه من الزهد والخشوع والورع والقنوت لله رب العالمين، ومعرفة ما كانوا فيه من الخير والبركة، وكيف ختم لهم بخاتمة السعادة والنجاة.

وأن يعرف كذلك أحوال المعرضين والمعاندين وكيف أن ذلك كان سبب كفرهم وهلاكهم وقسوة قلوبهم.

ولننظر إلى الموعظة الربانية الرقيقة الآخذة بجوامع القلوب، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۞ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

٧- تلاوة القرآن:

من أهم أسباب الخشوع تلاوة القرآن وتدبره وفهمه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا

---

(١) الفرقان: ٧٣.

(٢) الحديد: ١٦، ١٧.

هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فهذه هي أهم أسباب الخشوع، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الخاشعين المنيبين، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

❁❁❁

(١) الحشر: ٢١.

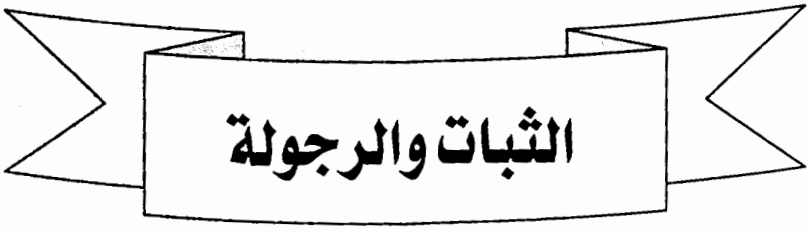

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا... ﴾

[الأحزاب:٢٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

من المفاهيم التي دخل عليها قدر كبير من التحريف والتغيير حتى انقلبت إلى الضد مفهوم الرجولة.

فلقد رأينا في هذا الزمان صبية صغارًا يأتي أحدهم المنكرات والآثام، فيشرب الدخان، ويتجرع الخمور، ويذهب إلى أماكن اللهو، ويشاغب الفتيات، ويظن أن ذلك كله علامة الرجولة والفتوة، ومنهم من يظن أن من مظاهر الرجولة، ومن الأدلة عليها أن يثير الشجار والعراك بين أبناء شارعه أو منطقته فيروع الآمنين، ويتعرض للناس بالسوء والأذى، ويسعى في الأرض فسادًا بتخريب المحال، وهدم المنشآت والمرافق ثم يعد ذلك الخبل كله من الرجولة والفتوة.

ومنهم من يدخل بيته عابسًا مكفهرًّا يسب ويضرب ويرفع صوته بسبب أو بغير سبب، ويتسلط على امرأته بمنعها من كل حق لها حلال أو حرام، ويظن أن ذلك كله من الرجولة.

ولو أردنا أن نعدد مظاهر الشر في تلك الرجولة المدعاة في عصرنا الحاضر لأتينا على كل صور الفواحش والمنكرات، لذا كان لابد أن نذكر أنفسنا وإخواننا وشباب المسلمين بمفهوم الرجولة الحقة في كتاب الله تعالى الذي: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١].

* الصدق مع الله مفتاح الرجولة في القرآن:

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ۞ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

في هاتين الآيتين الكريمتين يقترن وصف الرجولة بصفة الصدق مع الله، والوفاء بعهد الله، والالتزام بمنهجه واتباع سنة نبيه ﷺ بغير تبديل ولا تحريف.

وهذه الآيات الكريمة قد نزلت في صفة أصحاب النبي ﷺ الذين ثبتوا في غزوة الأحزاب ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هاتين الآيتين: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[٣].

* من سمات الرجولة:

* الصدق والثبات والالتزام بالعهد:

لقد كان الصدق مع الله تعالى هو سمة هؤلاء الرجال من أول لحظة يعلنون فيها إسلامهم وخضوعهم لله رب العالمين.

كانوا يصدقون مع الله تعالى، ويصدقون مع أنفسهم في الالتزام بهذا العهد الذي تقتضيه تلك الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) إنهم يعلمون أن معنى هذه الكلمة هو: بيع النفس لله تعالى واستسلامها له وإخلاصها له، وانقيادها لجميع أوامره؛ لأن العبد إذا قال هذه الكلمة ثم أطاع هوى نفسه وشيطانه وشهواته

---

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) الأحزاب: ٢٣-٢٤.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

لم يكن ملتزمًا بحقيقة لا إله إلا الله؛ لأنه يكون بذلك قد جعل هوى نفسه إلهًا، وجعل شيطانه وشهواته آلهة تعبد من دون الله.

فهذا رجل من أصحاب النبي ﷺ يسأله أن يدعو الله له بالشهادة في سبيله فيقول النبي ﷺ: "إن يصدق الله يصدقه" فما هو إلا يسير حتى دار رحى القتال فأتي بالرجل شهيدًا، فيقول النبي ﷺ: "صدق الله فصدقه"[١].

وهذا عُمير بن الحمام ﷺ[٢] -وهو أول قتيل من الأنصار في الإسلام- يعيش تلك البيعة بكل جوارحه، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض" قال: يقول عُمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: "نعم". قال: بخ بخ فقال رسول الله ﷺ: "ما يحملك على قولك : بخ بخ"[٣] قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: "فإنك من أهلها" فأخرج تمرات من قرنه[٤] فجعل يأكل منها ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

سبحان الله انظر إلى مدى صدقه مع الله ويقينه بوعده وجنته، ومسارعته إلى رضوانه ، إنه لا يصبر حتى يأكل تمرات كانت معه. أين هذا من حال رجال المسلمين اليوم -إن جاز أن نسميهم رجالًا- وهم تتلى عليهم آيات الله تعالى بالليل والنهار، ويسمعون الأحاديث والمواعظ فلا تحرك منهم ساكنًا.

إنك تقول للرجل: صَلِّ! فيقول: حينما أنهي دراستي، وتقول للآخر: صل، فيقول: حينما أتزوج، وتقول للآخر: صل، فيقول: حينما أفرغ من العمل، لو كان

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٥/ ٢٧٦).

(٢) صفة الصفوة(١/ ١٧٠) بتحقيقنا ط المكتبة العصرية/ بيروت.

(٣) بخ: كلمة تقال لتعظيم الأمر في الخير.

(٤) القرن: جعبة السهام .

هؤلاء صادقين مع الله في دعوى الالتزام بطاعته، والإسلام والاستسلام لأوامره أيتقاعسون عن تنفيذ أوامره وامتثالها؟!

انظر إلى أصحاب النبي ﷺ كيف يسارعون إلى امتثال أوامره على الفور؟

كيف يترك أحدهم طعامه ويسرع ليلبي: حي على الجهاد؟ بل انظر كيف يترك أحدهم شهوته ويدع عروسه في صبيحة عرسها ليلبي نداء الجهاد في سبيل الله.

فإن قلت: من يستطيع أن يفعل ذلك؟

قلت لك: إنه الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر الراهب[1] تزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له. فلما أسفر الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها، وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، وعلقت بعبدالله بن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذ فيه الرمح فقال رسول الله ﷺ: "إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة".

قال أبو أسيد الساعدي رضي الله عنه: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب. فأولاده لذلك يقال لهم: (بنو

(١) صفة الصفوة بتحقيقي (١/ ٢١٥).

غسيل الملائكة).

ومثل قصة حنظلة كذلك قصة جليبيب ﷺ[1] إذ كان لا يزال حديث عهد بعرس، فعن أبي برزة الأسلمي أن جليبيبًا كان امرأ من الأنصار، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: "يا فلان زوجني ابنتك "قال: نعم ونعمة عين. فقال ﷺ: "إني لست لنفسي أريدها". قال: لمن؟ قال: "لجليبيب". قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها.

فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ. قال: إنه ليس لنفسه يريدها. قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: حلقى، أجليبيب؟ لا لعمر الله، لا أزوج جليبيبًا.

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما، قالا: رسول الله، ﷺ قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟! ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني[2].

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها. فزوجها جليبيبًا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: "اللهم صب عليها الخير صبًّا صبًّا، ولا تجعل

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٦٠) بتحقيقنا.

(٢) انظر معي أخي الحبيب إلى موقف هذه المرأة المسلمة التي ما إن سمعت الحوار الذي دار بين أبيها وأمها حتى سارعت تنكر على أمها وقالت لها: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟!! ليت شبابنا ورجالنا يتعلمون الاستسلام المباشر لأمر الله وأمر نبيه ﷺ من موقف هذه المرأة ورحم الله القائل:

ولو كل النساء كمن فقدنا ... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

وتأمل معي أخي إلى قولها: (فإنه لن يضيعني) نعم فطاعة النبي ﷺ فيها الخير في الدنيا والآخرة.

عيشها كدًّا كدًّا".

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال: "هل تفقدون من أحد ؟" قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا ونفقد فلانًا. ثم قال ﷺ: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا. ثم قال ﷺ: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: لا. قال: "لكني أفقد جليبيبًا، فاطلبوه في القتلى"، فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه؟! فقال رسول الله ﷺ: "هذا مني وأنا منه. أقتل سبعة ثم قتلوه؟! هذا مني وأنا منه. أقتل سبعة ثم قتلوه؟! هذا مني وأنا منه" فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حفروا له، ما له سرير إلا ساعدي رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره.

قال ثابت: فما في الأنصار أيم أنفق منها[1].

إنها الرجولة الحقة فليست الرجولة في مضاجعة النساء، ولكن في مقارعة الرجال.

* الصدق مع الله في جميع الأمور:

هذا ولم يكن صدق أصحاب النبي ﷺ مع ربهم في أمر الجهاد وحده، بل صدقوا مع الله في كل شيء فهانت عليهم أموالهم كما هانت عليهم نفوسهم، وهؤلاء الصحابة أكثر من أن يحصوا لكثرتهم ولن نمثل هنا بأبي بكر ولا بعثمان بن عفان ولا طلحة الجواد الفياض ولا بالزبير ولا غيرهم من هؤلاء المعروفين المشتهرين بالنفقة والفضل، ولكن هل تسمعون عن صحابي جليل يدعى أبا الدحداح[2]؟ "إنه أبو الدحداح ثابت بن الدحداح شهد أحدًا وقتل يومئذ، فروى الواقدي عن عبد الله بن عامر قال: قال ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع: يا معشر الأنصار إليَّ إليَّ إن كان محمد قد قتل،

---

(١) أي: أكثر نفقة منها لما وسع الله عليها ميراثها من غنيمة زوجها الشهيد، أو المقصود أنفق منها أي: هي عند الرجال مرغوب فيها مطلوبة للزواج.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢١٧-٢١٨).

فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه، وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعكرمة[١] فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوقع ميتًا، وقتل من كان معه، وقيل برأ من جراحه ومات على فراشه من جرح كان أصابه وانتقض عليه مرجع[٢] رسول الله ﷺ من الحديبية".

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : لما نزلت هذه الآية:﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[٣] قال أبو الدحداح الأنصاري ﷺ: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال ﷺ: "نعم يا أبا الدحداح" قال: أرني يدك يا رسول الله قال: فناوله رسول الله ﷺ يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي! قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح! قالت: لبيك. قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي عز وجل.

وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم. وتنفض ما في أكمامهم[٤]. فقال النبي ﷺ: "كم من عِذق[٥] رداح[٦] في الجنة لأبي الدحداح"[٧].

وقد يقول قائل: إن صدق الصحابة كان لوجود النبي ﷺ بينهم ولكن انظر إلى هذا الصحابي الجليل (معن بن عدي) الذي شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها ،

---

(١) لم يكن أسلم هؤلاء الصحابة بعد ، فكانوا مع المشركين في غزوة أحد.

(٢) أي: وقت رجوع رسول الله ﷺ من الحديبية.

(٣) البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١.

(٤) فانظر يا أخي إلى موقف هذه المرأة، وانظر إلى سرعة الامتثال لأمر رسول الله ﷺ، ومسارعتها مع زوجها في الطاعة، فما أن سمعت أن زوجها تصدق بهذا الحائط حتى سارعت بإخراج بنيها من الحائط، ولم تكتف بذلك بل سارعت بنفض ما في أكمام بنيها من تمر.

(٥) العذق: العذق بكسر العين الغصن من النخلة، وهو كالعنقود من العنب.

(٦) رداح: كثير الخير، مليء.

(٧) رواه مسلم.

وانظر معي إلى كلامه بعد موت النبي ﷺ. فعن عروة قال: بلغنا أن الناس بكوا على النبي ﷺ حين مات، وقالوا: والله لوددنا أنَّا متنا قبله، نخشى أن نفتن بعده، فقال معن: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتًا كما صدقته حيًّا[١].

❁ الرجولة من أخص أوصاف الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وإذا كانت الرجولة من أوصاف الرسل، إذًا فهي صفة تجمع الخير كله من العقل، والرشد، والمروءة، والشجاعة، والقوامة، والعفة، والطهارة، والصدق، وغير ذلك مما فصلته آيات الكتاب الكريم.

❁ الرجولة قرينة الرشد والعقل:

قال تعالى في قصة لوط عليه السلام مع قومه: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا الله وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[٣].

❁ الرجولة قرينة العفة والطهارة:

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في صفة مسجد قباء الذي أسسه رسول الله ﷺ على التقوى من أول يوم ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَالله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٤].

---

(١) "صفة الصفوة" (١/ ١٦٢).

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) هود: ٧٨.

(٤) التوبة: ١٠٨.

❁ الرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاستعداد للآخرة:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[١].

فالرجل الحق لا تثنيه ولا تشغله الدنيا عن إقامة الصلاة التي جعلها الله تعالى: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٢].

والتي أخبر النبي ﷺ أن" من تركها فقد كفر"[٣].

وأخبر كذلك أن المانع الذي يمنع المرء من الشرك والكفر هو الصلاة فقال ﷺ : "بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٤].

الرجل الحق لا تثنيه الدنيا ولا تغلبه نفسه على الإتفاق في سبيل الله، وإيتاء الزكاة حذرًا من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

❁❁❁

(١) النور: ٣٦، ٣٧.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣)صحيح، رواه الترمذي وأحمد وانظر" صحيح الجامع الصغير" وزيادته للألباني(ج٢رقم ٤١٤٣).

(٤)صحيح، رواه مسلم وانظر" صحيح الجامع الصغير" وزيادته للألباني (ج١ رقم ٢٨٤٨).

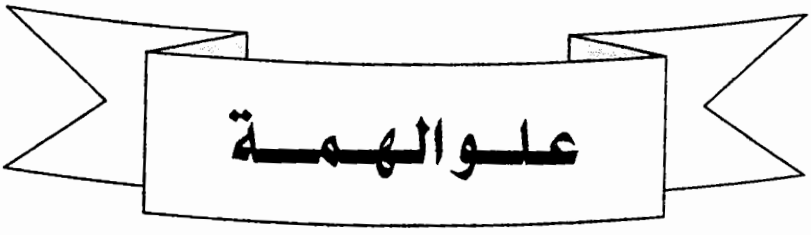

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[المطففين: ٢٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

اعلم أخي الحبيب أن همة المرء إنما تعلو بقدر علو غايته وعظم أهدافه، فمن كانت غايته في التعلم تحصيل شهادة، بلا تعلم ولا إفادة، فسوف تكون همته أضعف الهمم، وسوف يفكر في تحقيق غايته تلك بالطرق السهلة الدنيئة، فهذه الشهادة يمكنه الحصول عليها بغش أو رشوة أو تزوير أو غير ذلك من ضروب الخداع والتلاعب، فإن لم يمكنه تحصيلها بشيء من ذلك، فباللجوء إلى الدروس الخصوصية ونحوها ليقف على أقل ما ينبغي أن يذاكره ليختار الامتحان ويحصل على الشهادة المرجوة.

أما من كانت له همة التعلم والتحصيل، وإسباغ حاجة النفس من غذائها الروحي، وإضاءة جنباتها بنور العلم، فغايته أعظم الغايات، وأشرفها، وأعلاها مراداً، ولذا فهي لا تنال إلا على جسر من التعب والكد والاجتهاد، ولكن يهون ذلك على نفس طالب المجد وخاطب العلياء.

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

ولذا فهو يعد لتلك الغاية عزيمة تليق بعزمه، وهمة تليق بنيته وغايته.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ولا يزال المرء تعلو همته في طلب العلم متدرجاً في سلم الكمال حتى يتحقق له الكمال الإنساني المميز له عن البهائم والحيوانات.

بهذين النوعين: "همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه"[1].

والسبب الذي يجعل كثيرًا من الناس يطلبون الأدنى من الأمور، ويقصدون مالا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا - فساد العلم، وكثرة الجهل، وضعف الهمة، فكلما صح العلم، وانتفى الجهل، وصحت العزيمة، وعظمت الهمة، طلب الإنسان معالي الأمور.

* أسباب علو الهمة:

النصيحة الأولى: تصحيح النية:

اعلم أنك لا تعلو همتك في طلب العلم إلا إذا صحت نيتك فيه، والنية في طلب العلم ينبغي أن تكون عظيمة وذلك نحو:

أ- معرفة الله سبحانه ومشاهدة آثار صفاته:

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[2].

ومما لا شك فيه أن العلم هو الطريق الموصل لاكتشاف أسرار الكون وآثار الصنعة والإبداع فيه.

ب- القدرة على إثبات حقائق الدين، والإقناع بها بلغة العصر:

لا شك أن الطالب النابغ في تلك العلوم يكون أقدر من غيره على إقناع الملحدين بوجود الله تعالى، ومجادلتهم بالحكمة والحجة الباهرة مستخدماً في ذلك أسلحة الخصوم من تلك العلوم التي برعوا فيها.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٥٩) ابن القيم.

(٢) فصلت: ٥٣.

ج- القيام بواجب كفائي، ورفع الإثم فيه عن المسلمين:

اعلم -أخي الحبيب- أن تلك العلوم غير الدينية من لغة وأدب وطب وهندسة..إلخ قد بين أهل العلم أنها واجبة على الأمة وجوبًا كفائيًّا، بمعنى أنه إذا وجد في الأمة من يقوم بتلك العلوم ويعمل على تقدم الأمة فيها وسد حاجتها إليها فقد ارتفع الإثم عن الأمة، وإلا أثم جميع القادرين في هذه الأمة إذا ما تقاعسوا عن القيام بتلك العلوم.

فعلى طالب العلم أن ينوي القيام بذلك الواجب الكفائي، وسد حاجة الأمة فيه، ورفع الإثم عنهم في ذلك، فينال بذلك أعظم الثواب من الله عز وجل لقيامه بحاجة الأمة.

وعلى الذي يتشكك في حث الإسلام على تعلم العلوم الدنيوية والتقدم فيها أن يراجع تلك النصوص القرآنية؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الحَمْدُ لله الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يأيها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[3].

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) النمل: ١٥، ١٦.

(٣) الأنبياء: ٨٠.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١].

وفي السنة نصوص أخر كثيرة حاثة على طلب العلم الدنيوي: ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كلف زيد بن ثابت كاتبه أن يتعلم اللغة العبرية لأنه لا يأمن اليهود على كتابه فتعلمها زيد بن ثابت رضي الله عنه في شهر.

النصيحة الثانية: انظر إلى من فوقك ولا تنظر إلى من دونك:

إذا أردت علو الهمة في أمر العلم وأمر الآخرة فعليك أن تنظر إلى من فوقك من العلماء وطلبة العلم النابغين والمجتهدين فيه فتأخذك الحمية والغيرة، وتلك حمية وغيرة محمودة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢].

قال رسول الله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[٣].

وهذا بخلاف أمر الدنيا وأغراضها الدنيئة من التنعم بما فيها من المأكل والملبس والمركب ونحوه، فعلى المرء أن يقنع بما آتاه الله تعالى، وينظر إلى من دونه، ولا ينظر إلى من فوقه، كي لا يزدري نعم الله عليه، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ[٤].

---

(١) المائدة: ٤.

(٢) المطففين: ٢٦.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٤) صحيح: مسلم (٥/ ٨١٨) ط. الشعب.

النصيحة الثالثة: احرص على ما ينفعك[١]:

على طالب العلم أن يكون جادًّا حريصاً على ما ينفعه، لا يستحي ولا يستنكف أن يسأل عما يجهل، وعما يلتبس عليه فهمه، فإن العلم يضيع بين الحياء والجهل، وعليه ألا يتهاون بدرس أو محاضرة، وألا يحقر مدرسا له بل عليه أن يبجله ويكرمه رجاء أن يفيض عليه بخيره وما عنده من العلم.

النصيحة الرابعة: استعن بالله ولا تعجز[٢].

على طالب العلم ألا ييأس وألاَّ يعجز عن الطلب وألاَّ يصيبه ما يعرف بالعقدة النفسية من مادة بعينها أو مدرس بعينه أو نحو ذلك، وذلك لأن المسلم لا يعرف اليأس؛ لأن لجوءه إلى الله تعالى يفتح له دائماً باب الأمل، فعليك أن تستعين بالله تعالى في كل ما صعب عليك أو ضاق به صدرك من العلوم، فتتوجه إلى الله بالدعاء والصلاة فسرعان ما ينشرح صدرك، ويفيض الله عليك من نوره، وسرعان ما يهديك الله تعالى إلى الأخذ بأسباب الفهم والنجاح.

النصيحة الخامسة: طاعة الله تعالى وامتثال أوامره.

اعلم أن أسباب النجاح والتوفيق بيد الله، وأنه يقول للشيء كن فيكون فالمسلم الطائع لربه يقذف الله تعالى في قلبه نورًا يضيء له غياهب الظلمات، ويكشف له العلوم المغيبات، ولا يصل المسلم إلى ذلك وهو معرض عن سبيل ربه، هاجر لكتابه، مجانب لسنة نبيه ﷺ، بل لا يصل إلى ذلك إلا بالاستقامة والاجتهاد في طاعة الله تعالى، وذلك يكون بامتثال أوامر الله تعالى جميعًا، وأنبه هنا على أمور يقع تفريط الطلاب فيها، فمن ذلك:

---

(١) صحيح: مسلم (٥/ ٥٢٠) ط. الشعب.

(٢) السابق

(١) المحافظة على الصلاة في الجماعة:

ومعلوم أن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة كما جاء في الحديث الصحيح ومعلوم كذلك أن النبي ﷺ لم يجز لأحد من الرجال القادرين أن يتخلف عن الجماعة حتى إنه لم يأذن لرجل أعمى أن يصلي في بيته ما دام يسمع الأذان.

(٢) تلاوة القرآن والمحافظة على الأذكار اليومية:

ليكن لك حزب أو ورد يومي من كتاب الله تعالى ومن الأذكار الواردة عن النبي ﷺ في الصباح والمساء وغير ذلك.

فحاول أن تلزم نفسك بقراءة جزء من القرآن كل يوم بحيث تختم القرآن كل شهر مرة، فإن لم تستطع فاقرأه في شهرين بأن تقرأ كل يوم حزبًا أي نصف جزء، فإذا كان أيام الامتحان أو الشهر الأخير فيمكن قراءته في خمس دقائق، أو عشر دقائق قراءة متأنية.

واعلم أن المواظبة على ذلك من أسباب البركة والنجاح والتوفيق.

(٣) ترك سماع الغناء:

اعلم أن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع كما جاء في الأثر لاسيما ما كان منه في العشق والشوق ونحو ذلك وقد ثبت في صحيح البخاري حرمة سماع المعازف[١] وهي تشمل كل آلات الموسيقى، وجاء في الحديث أنها مزمار الشيطان[٢].

(٤) عدم وضع الصور العارية ونحوها في حجرة المذاكرة:

وهذا أيضًا مما يشوش على الطالب، ويكون سببًا في حضور الشياطين، وذهاب

---

(١) صحيح: البخاري (٥٥٩٠).

(٢) صحيح: البخاري (٣٧١٦)، ومسلم (٨٩٢).

الملائكة، ففي الحديث الصحيح: "أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة"[١].

(٥) ترك الاختلاط والتبرج والسفور:

على طالب العلم أن يعلم أنه مأمور بغض بصره عن النساء، وكذلك النساء مأمورات بغض أبصارهن عن الرجال، وقد ذكر أهل العلم أن حرمة الملامسة والمصافحة للنساء الأجانب أشد من حرمة النظر، لأن فيها النظر وزيادة.

وهذا كله يدل على حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء على طريقة الاختلاط الجامعي الذي يكون فيه الضحك والتمتع والمصافحة والنظر وغير ذلك، وهذا كله مما يشوش القلب والفكر. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[٢].

فانظر إلى قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أي: أن ترك النظر أزكى للنفس وأطهر للقلب، فلا يكون القلب مشوشًا ولا الفكر مشغولاً بشيء غير غايته ومراده وهي طاعة الله تعالى وعبادته.

النصيحة السادسة: مصاحبة الفضلاء وترك مخالطة أهل السوء

ويكفي للموعظة في ذلك تدبر حديث النبي ﷺ: "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة"[٣].

---

(١) صحيح: البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦).
(٢) النور: ٢٩، ٣٠.
(٣) صحيح: البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

النصيحة السابعة: كن شحيحًا بوقتك

اعلم أن الوقت هو رأس مال المسلم في تجارته مع الله، فالأعمال لا بد لها من ظرف تؤدى فيه، وهذا الظرف هو الوقت فاحرص عليه، قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ"[1] فاحرص على وقت فراغك، ولا تضيعه فيما لا يفيدك، ولا يجدي عليك كبير فائدة[2].

النصيحة الثامنة: تجنب الجدال والمراء

من الأسباب المضيعة لوقت طالب العلم، كثرة الجدال والمماراة مع الزملاء والأقران، وقد يكون هذا الجدال فيما لا ينفع ولا يفيد كالمجادلة في مباريات الكرة، وأن الفريق الفلاني أفضل وأفضل، وأن الهدف الذي أحرزه هذا الفريق أو ذاك غير صحيح، أو غير ذلك مما تضيع به الأوقات والأعمار وتمتلئ النفوس بسببه بالأضغان والأحقاد.

النصيحة التاسعة: لا تتبع كل ناعق

ما أكثر الدعوات في الجامعة للحق أو الباطل!

فثمة فريق يروج أفكارًا إباحية تدعو إلى الاختلاط والفجور!

وثمة فريق يروج لأفكار شيوعية إلحادية!

وثمة فريق يروج لأفكار وثنية فرعونية! تمجد فيها أسماء الفراعنة وآثار الفراعنة، وغير ذلك بالحضارة المصرية، والحق أن الحضارة بزعم إحيائها لا تحيا بتلك الآثار البالية لأولئك الوثنيين، وإنما تحيا بالانتماء للإسلام وحضارته وقيمه، وتحيا بالعلم والعمل الجاد الدءوب لا بالشعارات الزائفة والآثار البالية.

---

(١) صحيح: البخاري (٦٤١٢).

(٢) لنا رسالة في ذلك بعنوان: "الفراغ نعمة أم نقمة" فراجعها، فإنها مفيدة في بابها.

كذلك فإن هناك دعوات علمانية تدعو إلى التنصل من الدين، وعدم الزج به على زعمهم في أمور الحياة وتلك كهنوتية كنيسية لا يعرفها الإسلام، فالإسلام دين حياة.

كذلك فإن هناك دعوات إسلامية ولكنها مفرقة للصف تدعو إلى عصبية لجماعة بعينها أو حزب بعينه دون باقي المسلمين[1].

فعلى المسلم أن يتجنب تلك الدعوات كلها ويتعاون مع إخوانه من المسلمين لإقامة دين الله تعالى دون عصبية أو فرقة للصف، بل نجتمع جميعًا على الأصول الثابتة التي لا يختلف عليها المتمسكون بالسنة الملتزمون بها دون التعصب لاتجاه أو فريق بعينه، فإن هذا مما يزيد الأمة فرقة ووهنًا.

النصيحة العاشرة: مطالعة أخبار السلف الصالح وذوي الهمم العالية:

اعلم أن من خير ما يحمي الهمم، ويشحذ العزائم هو مطالعة أخبار السلف الصالحين الذين اجتهدوا في تحصيل تلك العلوم، وتركوا لنا تراثًا هائلاً من العلوم والمعارف عجزت الأمة إلى اليوم أن تقوم به وتستوعبه فقد كان لهؤلاء القوم همم عجيبة، وأعمال عظيمة تفوق عندي تلك الأهرامات التي يفخر بها الذين يمجدون الفرعونية.

فإن تسخير الأمة في صنع تلك الأهرامات ليس بأعجب من أن يكتب رجل كالسيوطي بنفسه أكثر من ألف مصنف، بعض تلك المصنفات يزيد على عشرة مجلدات ضخمة.

وليس بأعجب من مسند الإمام أحمد وقد حوى أكثر من ثلاثين ألف حديث

---

(١) انظر كتابنا في ذلك (دراسات حول الجماعة والجماعات) فقد وصفه الدارسون بأنه أقوى وأدق ما صنف في هذا الموضوع.

انتخبها الإمام أحمد من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث يحفظها جميعًا، وقد سئل كم يجزى الرجل ليفتي: أيجزيه أن يحفظ مائة ألف حديث؟ قال: لا. قال يجزيه أن يحفظ مائتي ألف حديث؟ قال: لا. قال: يجزيه أن يحفظ ثلاثمائة ألف حديث؟ قال: لا. قال يجزيه أن يحفظ أربعمائة ألف حديث؟ قال: أظن أن ذلك يجزئه، فهذه كانت همة القوم، لأنهم اتخذوا العلم عبادة وسبيلاً يبلغهم طاعة ربهم[1].

❁❁❁

(١) للمزيد من أخبار السلف الصالح: راجع رسالتنا: "نوادر السلف الصالح" وراجع كتاب "علو الهمة" للشيخ محمد إسماعيل المقدم، وكتاب "علو الهمة" د/ سيد العفاني.

كتب للمؤلف

اسم الكتاب	صدر عن	اسم الكتاب	صدر عن
العقيدة			
تيسير العقيدة للمسلم المعاصر	مكتبة التابعين، القاهرة	السهام القتالة في الرد على صاحب الاستحالة	مكتبة التابعين، القاهرة
شرح الدروس المهمة لعامة الأمة	عباد الرحمن، بيروت	الإفحام لمن زعم انقضاء عمر أمة الإسلام	دار الفضيلة، مصر
الرقائق			
الفراغ نعمة أم نقمة	مكتبة التابعين، القاهرة	إيقاظ الهمم قبل يوم الندم	مكتبة أبو بكر، القاهرة
الحياة الطيبة	مكتبة التابعين، القاهرة	رحلة إلى الدار الآخرة	مكتبة الدعوة، القاهرة
الطريق إلى الجنة	مكتبة أبو بكر، القاهرة	سلسلة: كيف؟	
الخوف من الله	مكتبة أبو بكر، القاهرة	كيف تقبل صلاتي؟	
وفاة الرسول ﷺ	مكتبة العلم، القاهرة	كيف تبني لك بيتًا في الجنة؟	
رحلة الإسراء والمعراج	مكتبة الهدى، القاهرة	كيف تقوي إيمانك؟	
قصور الجنة لمن	مكتبة التابعين، القاهرة	كيف ترضي ربك؟	
النجاة من النار	مكتبة أبو بكر، القاهرة	صفات يحبها الله ورسوله	دار الصفوة، القاهرة
سلسلة في الرقائق	مكتبة الهدى، القاهرة		

الفقه وأصوله

الجامع لأحكام زكاة الفطر	مكتبة الهدى، القاهرة	فتاوى وأحكام شهر الصيام	
تلخيص الكلام في أحكام الصيام	مكتبة الهدى، القاهرة	تذكير اليقظان بوظائف رمضان	دار الكتب العلمية، بيروت
قطع الجدال في ثبوت الهلال	مكتبة الهدى، القاهرة	مس الجن والشياطين بين الخرافة واليقين	تحت الطبع

علوم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

من بلاغة الكتاب والسنة، وهو الإمام الطيبي وتجديداته البلاغية	مكتبة نزار الباز، مكة	الإيضاح في علوم البلاغة	مؤسسة مختار، مصر
التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة دراسات نظرية تطبيقية	المكتبة العصرية، بيروت	غاية الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح	مكتبة البيان، القاهرة
البلاغة بين النظرية والتطبيق	مكتبة الهاني، القاهرة	عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح للسبكي	دار الكتب العلمية
أضواء على مسيرة البلاغة	المكتبة العربية	شرح السعد على التلخيص	دار الكتب العلمية
الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم	مكتبة البيان	مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي	دار الكتب العلمية
الكاشف عن حقائق السنن وهو شرح بلاغي لمشكاة المصابيح للطيب ١٣ مجلد بالفهارس العلمية الشاملة	مكتبة نزار الباز، مكة	شرح الدسوقي على التلخيص	دار الكتب العلمية
سلسلة دراسات أسلوبية في	مكتبة الهاني، جامعة	الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم	الدار الثقافية

القرآن الكريم (سورة النازعات – سورة ق)	القاهرة		
لطائف التبيان في المعاني والبيان للطيبي	مكتبة نزار الباز، مكة	وجوه البلاغة في متشابه القرآن	تحت الطبع
الأطول على التلخيص	دار الكتب	الدلالة الفنية للأصوات	صحيفة دار العلوم
المطول على التلخيص	دار الكتب	التكرار في الدراسات الأسلوبية الحديثة	صحيفة دار العلوم
العمدة لابن رشيق	المكتبة العصرية، بيروت	معالم على طريق النقد الأدبي	مكتبة الهاني، القاهرة
الطراز للعلوي	المكتبة العصرية، بيروت	رسالة الأدب المقارن	صحيفة دار العلوم
التبيان في المعاني والبيان للطيبي	مكتبة نزار الباز، مكة	الأدب المقارن: المفهوم والقيمة	مكتبة الهاني، القاهرة
التلخيص في علوم البلاغة للقزويني	دار الكتب العلمية	رعاية حال المتكلم	مكتبة الهاني، القاهرة
بلاغات النساء لابن طيفور	مكتبة الفضيلة	جماليات سورة البقرة	مكتبة الهاني، القاهرة
علم البديع وفن الفصاحة للطيبي	مكتبة نزار الباز، مكة	أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر	

قصص وكتابات أدبية

قصص الأنبياء	تحت الطبع	رجال حول الرسول ﷺ	مكتبة الدعوة، القاهرة

الشعر والأدب

ديوان رحلة على جواد النفس، ضمن كتاب جواهر الأدب	الدار الثقافية	جواهر الأدب في كنوز كلام العرب	مكتبة البيان، والدار الثقافية

اللغة والمعاجم			
معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي	دار الكتب العلمية	المخصص لابن سيده	دار الكتب العلمية
المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده	دار الكتب العلمية		
النحو والصرف			
شرح المكودي على ألفية ابن مالك	المكتبة العصرية، بيروت	حاشية الفاكهي على قطر الندى	مكتبة نزار الباز، مكة
حاشية الصبان على ألفية بن مالك	المكتبة العصرية، بيروت	إعراب مشكل الحديث للعكبري	مؤسسة مختار، القاهرة
التاريخ والسير والقصص			
صفة الصفوة لابن الجوزي	المكتبة العصرية، بيروت	موجز سير الرسول ﷺ ضمن كتاب تيسير العقيدة للمسلم المعاصر	تحت الطبع في طبعة مزيدة
الأخلاق والآداب			
رسالة إلى أخي الطالب	تحت الطبع	التزكية منهج تربوي شامل	تحت الطبع
التفسير وعلوم القرآن			
تفسير آيات الأحكام للسايس	مؤسسة مختار، القاهرة	جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي	دار الكتب العلمية

المختصر الصحيح لتفسير ابن كثير	مكتبة الهدى، القاهرة	سلسلة في ظلال آية	مكتبة الهدى، القاهرة
الحديث النبوي وعلومه وشروحه			
شرح مشكاة المصابيح للطيبي ١٣ مجلدًا بالفهارس العلمية الكاملة	مكتبة نزار الباز، مكة	النهاية في غريب الحديث	
كشف الخفاء للعجلوني	المكتبة العصرية، بيروت	التقييد والإيضاح	
مقدمة ابن الصلاح		الميسّر شرح مصابيح السنة للتوربشتي	مكتبة نزار الباز، مكة
فقه الواقع			
سلسلة دراسات حول الجماعة والجماعات وتشمل:			
حد الجماعة	الصحابة جدة، والتابعين القاهرة	العمل الجماعي: أصوله وضوابطه	
الدعوة إلى الجماعة والائتلاف باعتزال جماعات الفرقة والاختلاف		منهج الدعوة في واقعنا المعاصر	مكتبة الدعوة

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
تقديم	٣
تزكية النفوس	٩
تعريف التزكية:	١٣
التزكية أولاً	١٤
محمد ﷺ النموذج الأسمى في تزكية النفس:	١٥
التزكية أولاً أم التعلم؟	١٧
الدليل القرآني الواضح على ضرورة التزكية قبل المعرفة الأكاديمية:	١٨
شمولية التزكية:	٢٠
الجانب النظري:	٢١
الجانب التطبيقي:	٢٢
في مجال العقيدة:	٢٣
في مجال العبادات والأخلاق والمعاملات:	٢٣
نموذج قرآني فريد في تزكية النبي ﷺ لأصحابه	٢٥
استمرارية التزكية:	٢٦
اليقظة والتفكر	٢٩
نداءات القرآن لإيقاظ الإنسان	٣١

القرآن كله إيقاظ للقلوب من غفلتها ٣٣
تفاوت الناس في الغفلة ٣٣
تعهد النبي ﷺ نفسه وأهله وإيقاظه لهم ٣٤
تعهد النبي ﷺ أصحابه وإيقاظه إياهم ٣٥
استيقاظ الصحابة -رضي الله عنهم- للغاية التي خلقوا لأجلها ٣٥

البصيرة والعزيمة ٣٩

تعريف البصيرة ٤٢
أصل البصيرة وحقيقتها ٤٤
البصيرة تفجر العزيمة ٤٤
العزيمة ٤٥
لا طاعة بغير عزيمة ٤٥
العزيمة الصادقة مفتاح كل خير ٤٦

الحب في الله ٤٩

أسباب محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ حتى تتحقق لنا حلاوة الإيمان ٥٤
المحبة وحلاوة الإيمان ٥٤
من أهم مظاهر غياب الحب في الله ٥٤
أسباب وجود حلاوة الإيمان ٥٦
كيف تزيد محبة المرء لله تعالى ولرسوله ﷺ؟ ٥٨

الخشية ٦١

فوائد الخشية من الله ٦٣

ذكر خوف أصحابه رضي الله عنهم ٦٩

الاستجابة لله وللرسول ﷺ ٧١

معنى الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ ٧٣

فضل الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ ٧٥

كيف تتحقق الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ؟ ٧٦

الشرط الأول: طرد الغفلة عنه قبل أن يستيقظ على أهوال الآخرة ٧٦

علاج هذه الغفلة ٧٨

الشرط الثاني: التفكر والتذكر ٧٨

المسارعة إلى الاستجابة لله تعالى قبل فوات الأوان ٧٩

أولاً: تحول القلوب ٧٩

ثانيًا: الخوف من سوء الخاتمة ٨٠

ثالثًا: مسابقة الموت ٨١

مسابقة الرحمن إلى نعيم الجنان ٨١

طلب العلم ٨٣

الدعوة إلى الله على بصيرة ٨٦

بيان شرف العلم وفضل أهله ٨٧

العلم طريقك إلى الجنة ٨٧

العلم سبب لنضارة الوجه ٨٧
العلم ميراث محمد ﷺ وميراث الأنبياء من قبله ٨٨
والآثار عن السلف في بيان فضل العلم وكريم منزلته أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، لكن نذكر منها طرفًا فما قل وكفى خير مما كثر وألهى ٨٨
مكانة العلماء عند الله ٨٩
شهادة العلماء مقرونة بشهادة الله تعالى وشهادة الملائكة ٩٠
هلاك الناس بذهاب العلماء وهلاكهم ٩١
أقوال السلف في بيان مناقب العلماء كثيرة متواترة نشير إلى بعضها منبهين بها على غيرها ٩١
الإســـلام ٩٣
معنى الإسلام ٩٧
التوحيد ١٠٥
فهذه الكلمة (لا إله إلا الله) شقان ١١٠
الشرك بالله ١١٠
وجوب توحيده في عبادته سبحانه ١١٤
الاتـباع ١١٧
حاجة الأمة إلى معرفة هذا الأصل وتعلمه ١١٩
لمن يكون الاتباع؟ ١٢٤

الأدلة على وجوب الاتباع لكتاب الله تعالى ١٢٤
والأحاديث الدالة على وجوب اتباع النبي ﷺ في كل شيء كثيرة منها ١٢٤
الأدلة على وجوب اتباع أصحاب النبي ﷺ ١٢٥
الأدلة على وجوب اتباع أهل العلم ١٢٥
ثمرة الاتباع وفوائده ١٢٦

الإخلاص ١٢٩

كيف نحقق الإخلاص؟ ١٣٢
صلاح الباطن ملازم لصلاح الظاهر ١٣٦
قد يحتاج الإنسان إلى وقفة يحاسب فيها نفسه ١٣٦
لعلاج الرياء مقامان ١٣٧
أحدهما: في قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه. ١٣٧
والثاني: في دفع ما يخطر منه في الحال ١٣٩

الإيمان ١٤١

وجوب الإيمان بالله تعالى وبصفاته ١٤٣
وجوب الإيمان بالملائكة وأنواعهم ١٤٣
وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله ١٤٤
وجوب الإيمان برسل الله تعالى جميعًا ١٤٥
وجوب الإيمان بأن دين الأنبياء واحد ١٤٧

وجوب الإيمان باليوم الآخر	١٤٨
وجوب الإيمان بالساعة وأشراطها	١٤٩
الإيمان بالقدر	١٤٩
الاستقامة	١٥١
بداية الطريق	١٥٤
أصلح النية	١٥٦
تقوى الله	١٥٧
إقامة الصلاة	١٥٨
طاعات وعد الله تعالى عليها الجنة:	١٥٩
المحاسبة	١٦٣
معنى المحاسبة	١٦٦
فوائد محاسبة النفس:	١٦٧
كيف أحاسب نفسي؟	١٧٠
التوبة	١٧٧
إن هذه هي أمارات التوبة النصوح	١٨٢
الصدق	١٨٥
أعظم منازل الصدق	١٨٩
صدق النية والعزيمة والإرادة	١٩١
الصدق مع النفس مفتاح كل خير	١٩٢

واجه نفسك بنفسك	١٩٢
واجه نفسك بالحقيقة	١٩٣
الصدق يهدي إلى البر	١٩٣
الوفـــاء	١٩٥
أنواع الوفاء	١٩٩
الوفاء بالعهد	١٩٩
أعظم العهود مع الله تعالى	١٩٩
الوفاء بعهود الناس	٢٠١
تغير معنى الوفاء عند الناس في هذه الأيام	٢٠١
ماذا يعنون بذلك؟	٢٠١
الوفاء بالوعد	٢٠٣
الوفاء بالعقود	٢٠٤
بر الوالدين	٢٠٧
ما ورد في بيان فضل الوالدين ووصية الله تعالى بهما	٢١٠
بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله	٢١٢
الولد من كسب أبيه	٢١٢
رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما	٢١٢
بر الوالدين من الأعمال الصالحة التي يفرج الله بها الكُرب	٢١٣
دعوات الوالدين مستجابة	٢١٤

الجنة تحت أرجل الوالدين ٢١٤
من قصص البررة ٢١٤
بر إبراهيم ـ عليه السلام ـ ٢١٤
الإنفاق على الوالدين حق واجب ٢١٥
بر الوالدين بعد موتهما ٢١٦
الخشوع ٢١٧
فوائد الخشوع ٢٢٠
كيف يتحقق الخشوع؟ ٢٢٢
الثبات والرجولة ٢٢٧
الصدق مع الله مفتاح الرجولة في القرآن ٢٣٠
من سمات الرجولة ٢٣٠
الصدق والثبات والالتزام بالعهد ٢٣٠
الصدق مع الله في جميع الأمور ٢٣٤
الرجولة من أخص أوصاف الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في القرآن ٢٣٦
الرجولة قرينة الرشد والعقل ٢٣٦
الرجولة قرينة العفة والطهارة ٢٣٦
الرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاستعداد للآخرة ٢٣٧

علو الهمة ٢٣٩

أسباب علو الهمة ٢٤٢

النصيحة الأولى: تصحيح النية ٢٤٢

النصيحة الثانية: انظر إلى من فوقك ولا تنظر إلى من دونك ٢٤٤

النصيحة الثالثة: احرص على ما ينفعك ٢٤٥

النصيحة الرابعة: استعن بالله ولا تعجز ٢٤٥

النصيحة الخامسة: طاعة الله وامتثال أوامره ٢٤٥

النصيحة السادسة: مصاحبة الفضلاء، وترك مخالطة أهل السوء ٢٤٧

النصيحة السابعة: كن شحيحًا بوقتك ٢٤٨

النصيحة الثامنة: تجنب الجدال والمراء ٢٤٨

النصيحة التاسعة: لا تتبع كل ناعق ٢٤٨

النصيحة العاشرة: مطالعة أخبار السلف الصالح، وذوي الهمم العالية ٢٤٩

❁❁❁